

نَظْرَةٌ فِي وَسَطِ افْرِيقِيَّةٍ

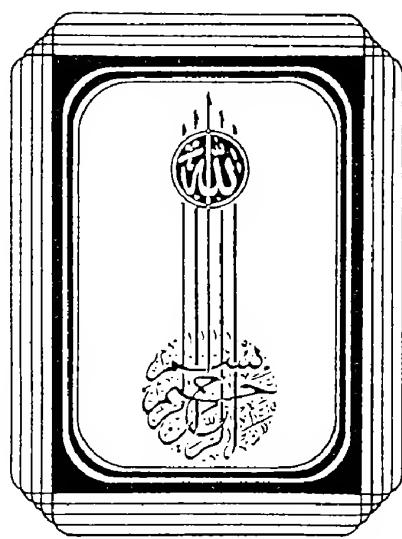
رحلة وأحاديث عن أحوال المسلمين

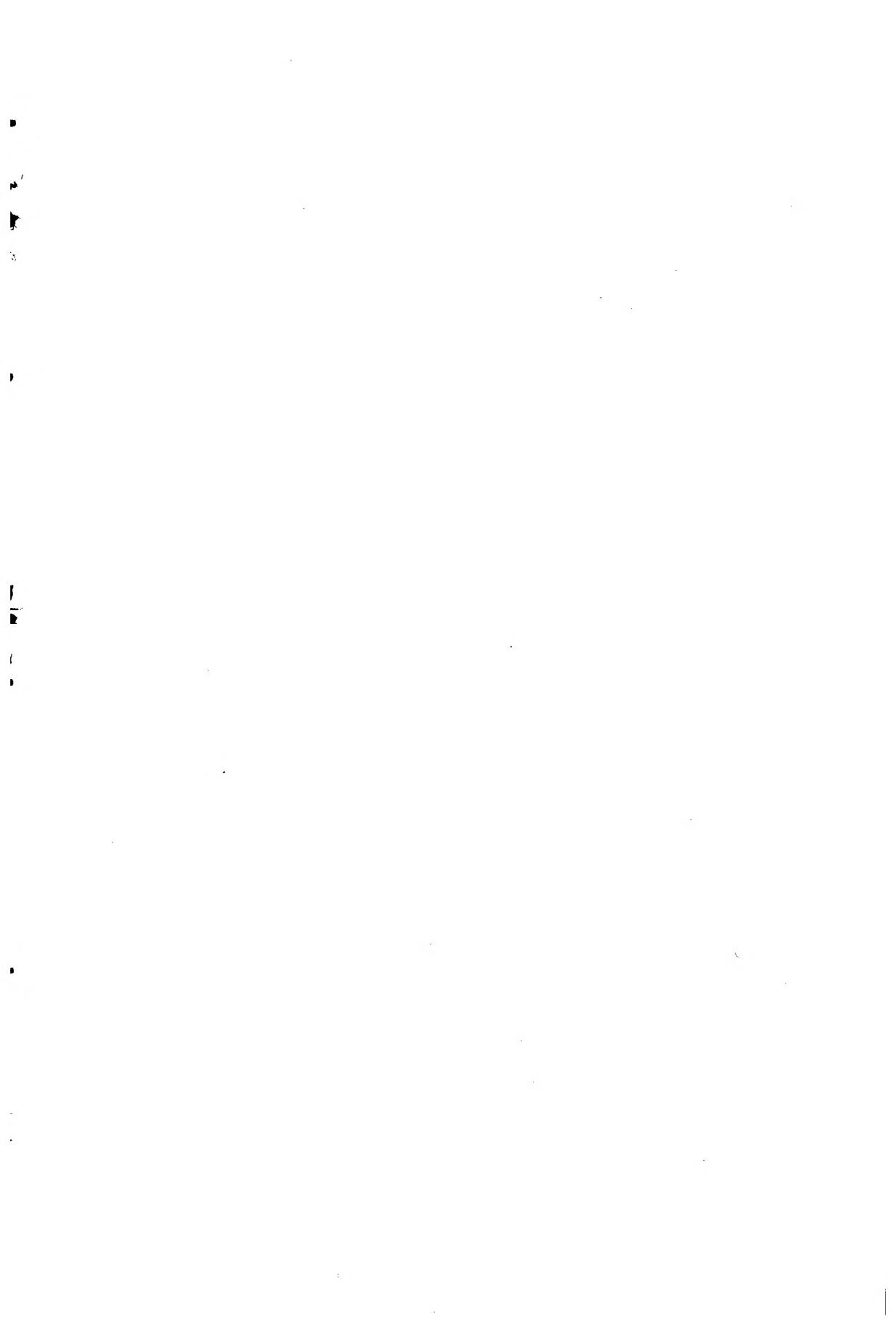
يَتَلَمُّ
مُحَمَّدُ بْنُ نَاصِرِ الْعَجْوَدِيِّ

الطبعة الأولى
١٤١١ - ١٩٩١م

فسح وزارة الاعلام برقم ٢٧٢٦ / م
وتاريخ ٢٤ / ٤ / ١٤١٥ هـ

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف





الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين. والصلوة
والسلام على أشرف خلقه أجمعين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه
والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فإن هذا الكتاب مذكرات يومية سجلت فيها ما شاهدته،
أو سمعت به مما يتعلق بما شاهدته، وما استنتجته من ذلك
وسلكت فيه ما سلكته في كتب لي سابقة في الرحلات، وبيان أحوال
المسلمين المعاصرين في أنحاء كثيرة من العالم، بل في أنحاء العالم
كله.

وقد استقبلها قراء العربية الكرام استقبلاً مناسباً، وأحلوها من أنفسهم
محلأً لم يكن طموхи يصل إليه، بل ولا إلى ما قاربه.

ولا شك في أن مرجع ذلك إلى حب القاريء الكريم للمعرفة ولتعلقه
 بالإطلاع على أحوال المسلمين في أوطانهم وأحوال الذين يساكنونهم
وهناك أمر ثالث ربما كان له أثر في قبول الإخوة القراء قراءة كتبى
المماطلة لهذا الكتاب. وهي أنها كتب غير عميقة، أو قل — إن شئت
أن تجامل الكاتب: إنها كتب غير معقدة، وأياً كان الأمر في حكمك
هذا فاني أعتقد في نفسي أن كتبى هذه غير عميقة، وأنها غير معقدة.
وأضيف إلى ذلك شيئاً آخر من عندي ربما لا يذكره القاريء لي، وإن
كان كثير من الإخوة غيره قد أبدوه وربما أعادوه وهو أنتي أحياناً
بما يسميه بعض الناس التوافة من الأمور. وقد سماها أحد الأخوة الأدباء
وهو الدكتور محمد بن سعد بن حسين نافلة القول وذلك في حديث
أذاعه من الإذاعة السعودية مقرضاً فيه كتابي «في افريقية الخضراء»

وضرب مثلاً على ذلك بالحديث عن المضيقات وما يتعلق من ذلك بالطائرات قال ذلك بعد أن اثنى ثناه عاطراً على الكتاب.

ومع احترامي لرأي الأخ الدكتور الكريم وغيره من القراء الأدباء الذين أحترم آرائهم لأنني في الحقيقة أكتب لهم وإن كنت في أول الأمر أكتب لنفسي لكي أقرأه بنفسي. ومadam الأمر كذلك فإن في امكانهم بل من حقهم أن يبدوا آرائهم فيما أكتب.

غير أنتي أيضاً من حقي أن أمضي فيما رأيته، وأن أسلك ما اتبعته من سبيل في هذا الموضوع وان كنت أرجو أن أحبط القاريء الكريم علماً بأنني عندما أفعل ذلك فإني لا أفعله عن سابق رسم أو تصميم، وإنما أفعله منطلقاً من سجيري في الكتابة، وعادتي في تسجيل المرئيات والملاحظات و (لكل امريء من دهره ما تعود) كما قال: أبو الطيب المتنبي.

ولقد وجدت من القراء الكرام المحذين لهذه الطريقة أعداداً تزيد أضعافاً مضاعفة على أعداد الإخوة الذين لا يريدون الكتابة عن بعض الأشياء التي يعتبرونها تافهة. أو لا يرون أنها تستحق الكتابة، فضلاً عن رأي بعضهم في عدم ذكر ما يستحينا من ذكره في العادة في بلادنا وهو الحديث عن النساء وحالهن وأوصافهن، فضلاً عن جمالهن أو ما هو عكس جمالهن، وفضلاً عن ملابسهن وأعمالهن إن كانت لهن أعمال اطلعت عليها.

وانني أحب هنا أن أنبه إلى أن بعض الإخوة الذين تطربوا إلى هذا الموضوع نظروا إليه من زاوية قياس حالة النساء في بلادنا على حالة

النساء في خارجها أو هم — إن لم يكن الأمر كذلك — متأثرون بهذه النظرة. وقد فاتهم أن يتذكروا أن المرأة في البلاد التي خرجت فيها من البيت، وصارت تعمل أو صارت تهمل وقتها وبيتها إنما خرجت بذلك من كونها (حرماً مصوناً) إلى كونها شيئاً بارزاً، فهي من هذه الزاوية قد أصبحت كالرجل وما الفرق بينهما لدى السائح من مجرد النظر في الشارع أو في ميادين العمل؟.

فليس من المعقول أن ينظر السائح إلى ما يراه مستغرباً من مناظر الحيوان والنبات والأشجار، فضلاً عن الأنبياء والميادين، أو مناظر الغابات والبساتين. ولا يستطيع أو لايسجل — سواء أحب أم لم يحب، سواء أقصد أو لم يقصد — مناظر النساء اللائي هن في كل مكان من الشارع إلى ميدان العمل. ومن المدينة إلى القرية بل إلى الكوخ إن وجد الكوخ.

وقد أصبحت النساء ظاهرات سافرات وأكثرهن كن كذلك منذ أن
أنسلتهن أمهاهن، ولم يبق من بلاد التحجب، التي تثير التعجب إلّا
زوايا قليلة من بلاد الدنيا الواسعة.

وقد اختارت لهذا الكتاب عنوان: «نظرة في وسط إفريقيا» لأن مصطلح وسط إفريقيا أصبح يطلق على بلد بعينه هو جمهورية وسط إفريقيا.

وسيجد القارئ الكريم في هذا الكتاب الحديث عن المرور

بجمهورية الكاميرون ثم الكلام على جمهورية إفريقيا الوسطى ثم الذهاب منها إلى جمهورية النيجر مروراً بمطار (انجا مينا) عاصمة تشاد.

وأما الحديث عما بعد ذلك وهو الحديث عن النيجر فإنه ألف مع أحاديث سابقة كتاباً قائماً بذاته عنوانه: «أيام في النيجر».

وكان رفيقي في هذه الرحلة أبا محمد السفير عبدالوهاب الدكوري عضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي ومدير مكتب الرابطة في السنغال، ونعم الصاحب في السفر هو.

المؤلف

محمد بن ناصر العبودي

(إلى الكاميرون)

المحيط الأطلسي



أفيون - إلستون - إلستون

يوم الثلاثاء ٢٤ / ٤ / ١٩٨٥ م - ١٥ / ٤ / ١٤٠٥ هـ

لم يكن الكاميرون في خط رحلتنا المقرر في الذهاب إلى إفريقية الوسطى والنيجر وهاتان هما اللتان قصدنا السفر إليهما أما الأولى فلتفقد أحوال المسلمين فيها ومعرفة أوضاعهم والمشكلات التي تواجهها الدعوة الإسلامية هناك ثم اقتراح الحلول الكفيلة بمواجهتها وهي ليست زيارة رسمية بل هي زيارة عمل ولكنها زيارة لا علاقة لحكومة تلك البلاد بها.

وأما الثانية وهي النيجر فإنها في زيارة عمل أيضاً ولكنها زيارة رسمية علمت بها سفارة النيجر في المملكة العربية السعودية كما علمت بذلك حكومتها وعلى رأسها رئيس جمهوريتها «حسين كونتشي».

وكان المقرر أن نبدأ بالنيجر. وبأن نسافر هذا اليوم إلى «نيامي» عاصمتها ثم ننهي زيارتنا لها ونسافر إلى «بانغي» عاصمة جمهورية إفريقية الوسطى، وبذلك ننهي مهمتنا العملية وأبدأ إجازة أقضيها في أطراف من المغرب العربي. وبخاصة من الصحراء في الجزائر أو المغرب. غير أن سفارة النيجر اتصلت بي وقالت: إنها تلقت من رئيس الجمهورية خبراً يطلب فيه أن نؤجل قدومنا إلى النيجر مدة أسبوع لأن الرئيس موجود الآن خارج العاصمة وهو يريد أن يستقبلنا فيها وإذا قدمت في هذا الموعد لم تتمكن مقابلته.

وقالت السفارة: إن الرئيس يرى أن يكون قدومكم يوم ٢٤ يناير أي يوم الثلاثاء من الأسبوع المسبق مثل هذا اليوم. ولذا

غيرت خط السير في الرحلة وجعلته إلى «جمهورية إفريقيا الوسطى» أولاً بعدها النيجر. وكان لابد من المرور بمدينة «دوالا» في الكاميرون لأنه لا طريق لنا غيرها.

ومن هناك إلى (بانغي) عاصمة إفريقيا الوسطى. وقبلها المرور بمطار أديس أبابا عاصمة الحبشة، فكان لابد من كتابة شيء عما شاهدناه في الكاميرون.

من جهة إلى أديس أبابا :

ليس في هذا الجزء من الرحلة ما يستحق أن يذكر للقاريء الكريم ولكن فيها ما يشوق الكاتب تذكره وتدبره في الذهاب إلى العاصمة الحبشية «أديس أبابا» أو الزهرة الحديثة إن لم تكن ترجمتها إلى اليانعة وكانت زهرة حديثة عندما زرتها زيارة ممتدة في عام ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م. ولكنها الآن زهرة ذابلة يابسة — إن صح أنها لا تزال زهرة فقد تظاهر عليها جدب العقول في هذه الثورة الاشتراكية في بلد ليس هناك ما يشترك فيه أهله إلا الإفلات، ثم سلط عليها جدب الزمان، فكفت السماء عن المطر. وتوقفت الأرض عن الإنبات، وجفت الأودية، ونبت الملح في مسائيل المياه العذبة فاشتركت أهالي الحبشة في الموت جوعاً، كما كانوا قد اشتركوا في الجدب المعنوي خضوعاً للإمبراطور الراحل «هيلاسلاسي».

وكان الحاكم المطلق السابق اسمه ومعنى «هيلاسلاسي» أوقفة الثلاثة التي هي الأب والابن والروح القدس عند النصارى قد خلف حاكماً مطلقاً أيضاً وإن كان يدعى الاشتراكية الجماعية في القول والفعل «هيلا مريم» قوة مريم فكلا الرجلين الحاكمين يتتصدر اسمه اسم دينياً

نصرانياً. وكلاهما قد ناصب طائفه من المسلمين في اريتريا العداء،
وواصل الحرب ضدهم بدون ارتخاء.

والذى أهمني من هذا الأمر الآن هو تذكر ما كان ومقارنته بما هو
كائن في الوقت الحاضر لمعرفة ما سيكون غداً، ولكننا في الحبشه
مارون سائرون وذلك يفعله المقيمون القارون. لذا ستركته إلى استعراض
ذكري أو ذكريات سريعتان أثارتها نظرات من خلال نافذة الطائرة
الحبشية ثم محبت من الذاكرة بأسرع ما محيت به من النظر.

تركـت الطائرة الحبـشـية التي رـكـبـناـ فـيـهاـ فـيـ الـدـرـجـةـ الـأـلـىـ فـيـ السـاعـةـ
الـسـابـعـةـ صـبـاحـاـ مـدـيـنـةـ جـدـةـ مـيـمـمـةـ وـجـهـهـ شـطـرـ أـدـيـسـ أـبـابـاـ جـهـةـ
الـجـنـوبـ الغـرـبـيـ. وـكـانـ الـدـرـجـةـ الـأـلـىـ مـلـيـئـةـ رـغـمـ كـوـنـ الـمـوـظـفـ فـيـ
مـكـتـبـ التـرـحـيلـ كـانـ قـدـ قـالـ لـيـ: إـنـهـ لـاـ حـاجـةـ إـلـىـ وـضـعـ الرـقـمـ عـلـىـ
بـطاـقـةـ الدـخـولـ لـأـنـ الرـكـابـ فـيـ الـأـلـىـ قـلـيلـ. وـلـكـنـيـ وـجـدـهـاـ مـلـيـئـةـ بـقـومـ
كـلـهـمـ مـنـ إـلـفـيـقـيـنـ وـأـكـثـرـهـمـ إـنـ لـمـ يـكـوـنـواـ كـلـهـمـ مـنـ الـنـيـجـيرـيـنـ –
سـكـانـ نـيـجـيرـياـ وـلـيـسـواـ سـكـانـ الـنـيـجـرـ – وـلـيـسـ فـيـهـاـ مـنـ هـوـ غـيرـ اـفـرـيقـيـ إـلـاـ
أـنـاـ.

وقـيلـ لـيـ بـعـدـ ذـلـكـ: إـنـ هـؤـلـاءـ الـنـيـجـيرـيـنـ هـمـ فـيـ الـأـصـلـ مـنـ رـكـابـ
الـسـيـاحـيـةـ. وـلـكـنـهـمـ رـكـبـواـ فـيـ الـأـلـىـ لـسـبـبـ مـنـ الـأـسـبـابـ، وـرـبـماـ يـدـلـ عـلـىـ
ذـلـكـ أـنـ جـارـةـ لـيـ سـمـيـنـةـ مـنـهـمـ أـخـذـتـ باـقـيـ طـعـامـ الـفـطـورـ الـذـيـ كـانـ
سـخـيـاـ وـقـدـ أـخـذـتـهـ الطـائـرـةـ مـنـ جـدـةـ ثـمـ أـخـذـتـ الـجـارـةـ مـنـ صـحنـيـ مـنـ دـوـنـ
اسـتـعـذـانـ بـقـايـاـ الـعـلـبـ الصـغـيـرـةـ الـتـيـ فـيـهـاـ العـسلـ وـالـجـبـنـ وـالـمـرـبـىـ عـنـدـمـاـ
عـرـفـتـ أـنـيـ لـمـ اـفـتـحـهـاـ وـلـاـ أـرـيـدـهـاـ وـأـدـخـلـتـهـاـ أـيـضاـ فـيـ حـقـيـقـيـتـهـاـ.

الكبيرات والكبراء :

اللغة الجبشية هي شقيقة العربية لأنهما معاً قد انسلا من الأم السامية القديمة ولكن تباعد العهد وتنائي السكان فيهما قد أبعد ما كان بينهما من قرب إلا أنه لا تزال فيهما بقايا تلحوظها أذن السامع ومن ذلك أن أول كلمة كانت تقولها المضيفة بالطائرة وهي التي تقابل في العربية جملة «سيداتي سادتي» أو بالإنكليزية «ليدز اند جتلتمن» هي «كبيرات انَّ كبراً» أي: أيها الكبيرات والكبراء.

لاسيما أن المضيفة نفسها هي سوداء سواداً غير حalk ولكن تقسيم وجهها وحالة شعرها تبعد بها عن إفريقيا والأفريقيين وتثبت العبارة التي قلتها قبل سنين وهي أن الأحباش عرب اسودوا.

وهذا ليس بغرير إذا عرفنا أن الأحباش والأحابيش هي تعني الأخلاط والمختلطين لأن سكان الحبشة الأصلاء هم عرب في الأصل من الجزيرة العربية دخلوا إلى إفريقيا واحتلوا بسكانها الأصلاء من الحاميين فسموا بذلك. ومن هذه التسمية في العربية «الأحابيش» من قريش وهم المختلطون أي غير الخالصين لجد واحد أو لأب واحد.

ومن الأشياء التي كنت قد قلتها في الأحباش عندما كنت أتردد على إفريقيا الشرقية قبل عشرين سنة إنهم من أحسن الناس أدباً وأفضلهم خدمة، غير أنني لاحظت أنهم تغيروا عن ذلك قليلاً وإن كانوا لا يزالون أفضل من غيرهم من الإفريقيين في هذا الأمر بمراحل. وقد أعلنت المضيفة بالإنكليزية بعد الجبالية أن مدة الطيران إلى أديس أبابا ستكون ساعة وأربعين دقيقة.

وعند الإقتراب من أديس أبابا تجلى الفرق العظيم بين منظر أديس أبابا والمنطقة القريبة منها في هذا العام، وما كنت قد رأيتها عليه قبل عشرين عاماً فقد كانت في ذلك الحين خضراء خضراء كثيفة تجري فيها مساليل المياه التي كانت تكتظ بالسيول. وأما اليوم فقد رأيتها مغبرة الأفق، مجدهبة الأديم. رمادية المنظر، بل هامدة ماعدا شجيرات كبيرة قليلة متفرقة.

ومن المفزع بالنسبة إلى أنني رأيت مساليل المياه القليلة قد ركبتها مادة بيضاء تشبه الملح أو القطن المنتشر لا أدرى ماهي، ولكنني رأيتها في أكثر المنطقة التي طارت فوقها الطائرة.

ولا شك في أن آثار هذا الجدب والمحل هي المجاعة التي أصابت البلاد، ومات بسببها الآلوف المؤلفة من الناس في الحبشه التي لا تزال حكومتها تهتم باستيراد السلاح لمقاتلة المسلمين وغيرهم من مواطنيها في الشرق والشمال بل وهي تؤوي العناصر المتمردة في جنوب السودان بدلاً من أن توفر كل ذلك لمكافحة المجاعة وإنقاذ أهل البلاد من الموت جوعاً. وقد وكلتهم إلى العون الذي يأتيهم من أنحاء العالم.

وعند الهبوط في المطار رأينا طائرات تفرغ حمولتها من الحبوب والأغذية التي وصلت إليهم من الإعانات الدولية. وبعضها تحمله طائرات ربما من أجل أن تذهب به إلى أماكن أخرى في البلاد لا تصلها السيارات بسهولة لتخلف البلاد وقلة الطرق الازفليّة الصالحة فيها.

ومن الأشياء اللطيفة في المطار انهم كتبوا على واجهته كلمة «مرحباً» بالعربية بخط كبير بجانب كلمتي «ويلكم» الانكليزية و«بيان فني» الفرنسية.

الركاب كلهم عابرون :

من الغريب الملفت للنظر أن معظم ركاب طائرتنا كأكثر الطائرات الهاابطة في المطار هم من الركاب العابرين وليسوا من الوافدين النازلين في «أديس أبابا» ذلك بأن اليسارية أقرت التجار، وتطافر معها الجفاف. فأصبح الشعب لا يقوى على السفر، وحتى بالنسبة للمشاريع الحكومية الإنمائية لم يبق منها أيضاً ما يستحق الاهتمام فأصبح العاملون في الشركات والمصانع العالمية الذين يتربدون في العادة على البلاد النامية التي فيها مشاريع استثمارية لا يفعلون ذلك هنا.

وبقي أمر واحد وهو انتظام رحلات الخطوط الجوية الحبسية، وكونها أحسن الشركات الإفريقية خدمة واصدقها مواعيد، وأحسنتها إدارة وليس ذلك لحسن في نفسها وإنما هو لسوء في إدارة بعض شركات الطيران الإفريقية خلف الصحراء التي منها مثلاً شركة (زايير) الدولة الغنية التي لا تقبل الشركات الأخرى تذكرة وقد تجلى ذلك عندما اتجه معظم ركاب طائرتنا إلى قاعات العابرين فوجدناها مزدحمة بركاب نزلوا من طائرات أخرى أيضاً.

وكان لكثرة الركاب أثر في تكدسهم أمام الموظفين الذين يطلب منهم أن ينهوا إجراءات تحويل التذاكر ولكنهم يعلمون كل ذلك بأيديهم ومن دون آلات حاسبة معتادة فضلاً عن الحاسب الآلي «الكمبيوتر» مما جعل الوقوف أمامهم في طوابير منتظمة بجانبها أكdas من الركاب الذين لا يعرف بعضهم بالوقوف في الصفوف.

من أديس أبابا إلى دوالا :

قامت طائرة أخرى أثيوبية بعد أن نقلوا إليها الأمتعة وما كادت تقوم لأنه حدث لغط عند بوابة النزول من قاعة العابرين إلى الطائرة إذ تبين أن الموظفين قد قطعوا بطاقات الدخول لعدد أكبر من المقاعد الموجودة في الطائرة فحدث هرج ومرج وتدافع بالأيدي حتى إن راكباً نيجيرياً اقتحم البوابة بقوة ودخل إلى الطائرة قائلاً: «إنه يحمل بطاقة دخول الطائرة ولا يمكن إيقافه عن السفر».

وكانوا قد بدأوا باركاب الدرجة السياحية وجعلونا نحن ركاب الأولى بعدهم فشهدنا ذلك كله، وكادوا في غمرة النزاع يمنعوننا حتى دخلنا بصعوبة.

وكان المقرر أن تقوم الطائرة في العاشرة إلا ربعاً ولكنها لم تقم إلا في الحادية عشرة إلا ربعاً وقد اعتذر الطيار عن هذا التأخير وقال: إن سببه هو العمل في تحويل التذاكر.

وأعلنت المضيفة أن الطيران سيكون إلى نيروبي عاصمة كينيا قبل «دوالا» وانه سيكون بعد «دوالا» إلى لاجوس ثم نهايته في «أبيجان» عاصمة ساحل العاج.

وقالت إن الطيران إلى نيروبي يستغرق ساعة وخمساً وثلاثين دقيقة. وتكرر المنظر الجاف من الطائرة. بل كان المنظر الذي لا منظر غيره. وتكرر منظر الوديان التي غشيتها مادة بيضاء غريبة.

وبانت منازل المواطنين في الريف وهي أكواخ ذات سقوف من القش

هرمية الشكل ولكنهم يحيطونها بحائط خارجي لا أدرى فهو من الطين أم غيره، واعتقد أنه من أغصان الأشجار وكل بيت وحده منفرداً.

وعندما وزعت المضيفة الجرائد والمجلات كانت فيها مجلة «الحوادث» اللبناني وهذا نظير ما فعلوه عندما قامت الطائرة من جهة وأحضروا لي وللشيخ الدكوري جريدة «الشرق الأوسط» وإن كان قيامها من أديس أبابا إلى نairoبي وهم بلدان غير عربتين ليس كقيامها من مدينة عربية هي جهة.

وصلت الطائرة إلى مطار نairoبي في الثانية عشرة وعشرين دقائق، ومطار نairoبي عرفته منذ أكثر من عشرين سنة وكان مع قدمه في ذلك الوقت أحسن مطار في المنطقة فهو أحسن خدمة من مطار «أديس أبابا» وكان عامراً في ذلك الحين بطائرات شركة شرق إفريقية للطيران «ايست افريكا اير لайн» وهي التي تکالبت عليها الخلافات بين الدول الثلاث المشتركة فيها وهي كينيا وأوغندا وتanzania حتى مزقتها وتلاشت من الوجود مع أن عدد الدول فيها لا يزيد على ثلات على حين أن شركة «ایر افرييك» التي تساهم فيها عشر دول من دول غرب إفريقية لازالت موجودة بل قوية، إن لم نقل نامية حتى الآن.

ويمكن إرجاع ذلك إلى الحالة العقلية السياسية الواقعية للدول غرب إفريقية بالنسبة إلى الدول الشرقية.

كما يمكن أن يقول قائل: إنه ربما كان السبب هو فرق الثقافة المبني على الفرق بين المستعمرين السابقين وهم الانكليز والفرنسيون. فالملاحظ أن المستعمرات الفرنسية السابقة هي أحسن حالاً في التعليم وأفضل في الأمن بل وفي تدبير شئون المال والاقتصاد من المستعمرات الانكليزية السابقة.

وعندما أنشأ الكينيون هذا المطار كان من أوائل المطارات الفاخرة في إفريقيا الخضراء التي يسميها الفرنسيون «إفريقيا السوداء». وكانت منطقة نيروبي في تلك السنين مثل منطقة أديس أبابا في ذلك الوقت خضراء مطيرة في كل السنوات أو في أكثرها أما الآن فقد نالها نصيبها من الجفاف، وإن كان أقل من جفاف الحبشه.

من نيروبي إلى دوالا :

غادرت الطائرة مطار نيروبي في الواحدة ظهراً وأعلن مكبر الصوت فيها أن مدة الطيران إلى «دوالا» في الكاميرون تستغرق أربع ساعات إلا ربعاً.

وهذه الطائرة الحبشهية هي كالأولى من طراز بوينج ٧٢٧ وكان ركابها كثراً والسبب مثل ما كان عليه الأمر بالنسبة إلى قيامها من أديس أبابا إلى نيروبي.

ولت الطائرة وجهها شطر الغرب ففارقتنا الجفاف بعد قليل. وصارت تطير فوق أراض شديدة الخضرة، مزدحمة بالعمارة.

وبينما كانت تطير فوق صفاف بحيرة غير متعددة ربما كان ذلك بسبب ارتفاع الطائرة، تكلم الطيار فقال: إننا سنمر بعد عشر دقائق حول مدينة «كستنقارني» وهي المدينة الشرقية المهمة في زاير وقد تغير اسمها وكان في زمن الاستعمار البلجيكي «استانلي فيل» أي مدينة «استانلي» مثلما تغير اسم القطر الذي هي فيه من «الكتنغو البلجيكي» إلى «كتنغو ليو بولد فيل» ثم «كتنغو كنشاسا» حتى استقر على ما هو عليه الآن «زاير» ومعناه الأسد بإحدى لغاتهم المحلية والمنطقة التي

تقع فيها هذه المدينة مثل بقية أنحاء «زاير» لا تشكو شيئاً من الجفاف الذي ابتليت به بعض البلدان الأفريقية «الساحلية». بل قيل لنا: إن سقوط الأمطار زاد فيها في الستين الأخيرتين عما كان عليه من قبل وكان كثيراً جداً.

ثم حجبت سحب متظاهرة منظر الأرض ومن عليها عمن في الطائرة فكان المنظر داخلها منظر المضيقات الحبسنات اللاتي يقدمون لركاب الدرجة الأولى ضيافة ممتازة بدأت بالمقلبات الفاخرة التي منها «الكافيار».

وعندما قدموه إلى لم أكدر استسيغه إذ كيف أقبل «الكافيار» من بلد يموت فيه بعض الناس جوعاً ولا يجدون كسرة من خبز أو حتى لقمة من «دويف»!

غير أنني تذكرت أن الموضوع بالنسبة إليهم هو موضوع تجاري فهم يريدون من ذلك أن يحافظوا على إقبال الناس على الركوب بطائراتهم. وقد تقاضوا ثمنه من تذاكرهم.

وكانت الأطباق التالية من أكل لهم محلبي فيه «الكسرة» وهي خبزة لينة من نوع من الحبوب يشبه الدخن كنت أكلها في ارتريا وأستطيعها ثم كان الطبق الرئيسي من اللحوم وغيرها لمن أراد ذلك.

في مطار دوالا :

قبل الوصول إلى هذا المطار تدنت الطائرة إلى الأرض قليلاً فظهرت الغابات الكثيفة بينها نهر صغير غير واسع، وبعده رأينا نهراً كبيراً أحمر الصفاف ربما لسبب كون الوقت في غير موسم الأمطار. كما ظهرت بعض الطرق الترابية وهي حمراء اللون وهذا هو اللون الذي عرفته للتربة الإفريقية الاستوائية في شرق إفريقيا ووسطها من قبل. وهذه المنطقة هي بطبيعة الحال في غرب القارة إذ «دوالا» واقعة على المحيط الأطلسي. ومن اللطيف في منظر النهر الكبير هذا أننا رأينا عليه شلالات ربما كانت طبيعية أو هي اصطناعية من أجل توليد الكهرباء.

واستمرت الطائرة في الاقتراب من المدينة فبات طريق اسفلتية جيدة جداً في وسط الغابات ذات حواشٍ حمر من التربة.

أعقب ذلك منظر مستنقعات عديدة بعضها خضراء المياه لطول مكثها وقد تجاوزتها الطائرة وهي تتسلق إلى الأرض بسرعة فوق غابات متکاثفة مغلقة ليس فيها مساكن ولا عمارة ولا طرق إلا أن النهر الذي كنا قد رأيناه من قبل قد سبقنا أيضاً إلى هذه المنطقة ولم نر على صفافه عمارة من زرع أو غيره ولاشك في أنه ذاهب إلى مقره الأخير في المحيط الأطلسي القريب من هذه المنطقة.

ثم بدت ضاحية من ضواحي المدينة ذات سقوف من الصفيح الأبيض محاورة لمنطقة من مناطق المستنقعات والمياه الراكدة.

ثم نزلت الطائرة في المطار من دون أن تحوم فوق المدينة أو حتى تمر فوقها وذلك أنها جاءت من جهة الجنوب إلى المطار الذي هو واقع في الجهة الجنوبية عن المدينة.

وأعلنت المضيفة ان الوقت في «دوا لا» يتأخر عن وقت أديس أبابا ونيروبي ساعتين فأخرت ساعتي كذلك لأن توقيت المملكة مساواً لتوقيت تلك المدينتين وهو يتقدم ساعتين عن توقيت الكاميرون.

وقفت الطائرة أمام دهليز متحرك في مطار يبدو عجياً لأنه مبني أو على الأصح مقام على هيئة دهليز طويل فوق عمد من الإسمنت دقيقة بحيث يكون أسفل البناء حالياً. وقد انعطاف بعد طول مؤلفاً ما يشبه حرف اللام بالإنكليزية وتحيط به دهليز متحرك يلقمنها باب الطائرة كما يكون في المطارات الحديثة.

وعندما دخلنا المطار رأيته جيداً بالنسبة إلى المطارات الإفريقية حاشا مطار نairobi ولكنه ليس فاخر البناء.

أول من وقفنا عنده ضابطة الصحة. والنظر في الأوراق الصحية الصفراء تجاوزته البلدان المتقدمة لأن لشعوبها من الوعي الصحي بالوقاية ما يعني عن ذلك. وتركتها أكثر البلدان التي تليها في التقدم في التعليم مثل المملكة العربية السعودية، لأنها عرفت أن أكثر هذه الشهادات الصحية هي مزيفة فأكثر القادمين من البلدان المختلفة يدفعون نقوداً ويحملون هذه الشهادات التي تشهد بتلقيحهم ضد بعض الأمراض وهم لم يلقوها بشيء.

ولم نقف عند ضابطة الصحة طويلاً وإنما كان الوقوف الطويل عند ضابط الجوازات وهو وقوف دون كلام. إذ لم يوجه إلىَّ كلمة واحدة لأنه لا داعي لذلك فأنا أحمل سمة دخول سياسية من سفارة الكاميرون في جدة ولكنه كان يتأمل الجواز وضابطة بجانبه ربما كانت جديدة

على العمل وتحتاج إلى تمرين على أنواع الجوازات المختلفة. والأمر السهل كان عند ضابط «الجمرك» وضابطاته وهو الذي كتب أحسنى منه لأنني أحمل بعض الهدايا الرخيصة لبعض الأفريقيين. ولكنهم بمجرد أن نظروا إلى أحد الجوازين قالوا: «دبلوماتيك» وانحنوا بالتحية مشيرين إلى طريق الخروج فجوازي وجواز رفيقي السفير عبدالوهاب الذكوري كلاهما سياسي. وقال الذكوري: إن القوم هنا طيبون.

والواقع أن طيبتهم في معاملة الأجانب حقيقة عرفتها منهم بعد ذلك.

في مدينة دوالا :

كانت أولى النظارات إلى بعض الأحياء الشعبية في مدينة «دوالا» بعد الوصول مباشرة إذ ترك سائق السيارة الطريق العام وقال إنه سيذهب مع بعض الطرق الفرعية اختصاراً للطريق، واتقاء لزحام السيارات في الطريق العام. وكنا قد أخبرناه إننا زيد الذهاب إلى فندق «ميريديان» غير أننا عرفنا أن الفندق ليس في قلب المدينة وأننا أحب إذا كانت إقامتي قصيرة في بلد أن أسكن في فندق من فنادقها التي تقع في وسط المدينة من أجل السير على قدمي في المدينة كلما سنت الفرصة من الوقت.

فكان الانطباع عن هذه الأحياء الشعبية من المدينة أدنى مما تخيلت عليه مدينة «دوالا» في ذهني، لأن «الكاميرون» دولة ذات موارد طبيعية جيدة منها النفط إلى جانب الصادرات الوفيرة من البن والكافكا والأحشاب.

فهذه الأحياء مؤلفة من بيوت أكثرها مبني بلبن الاسمنت ومسقفة بالصاج الرديء وهي من طابق واحد وشوارعها ضيقة وغير ذات أرصفة، ومجاري المياه المستعملة تصب من قنوات تخرج من البيوت إلى مجرى عام على جانبي الشارع مكشوف.

وهذا هو الشارع في البلدان الاستوائية المتأخرة في آسيا وأفريقيا حيث يعتمدون على أن مياه الأمطار الغزيرة تنزل على هذه المجاري فتأخذ ما في هذه القنوات القدرة وتحمله إلى حيث النهر أو البحر.

وهذا ما جعلني أعرف لو لم أكن أعرف موقع البلاد من قبل أنها بلاد استوائية ويدل على ذلك أيضاً أشجار الموز الموجودة بين البيوت.

وفي هذه الشوارع سيارات لا بأس بعدها كثرة غير أن أكثرها سيارات عمل كالشاحنات ونحوها وتبين لي بعد ذلك أن السيارات الصغيرة المتوقفة كثيرة في شوارع الأحياء الحديثة من المدينة.

وأما الشعب فإنه الأفريقي الاستوائي الأصيل الذي يسميه الأوروبيون بالبانتو أو الزنجي وهو عندنا في لغتنا العربية غير أولئك، لأن الزنجي عندنا هو الذي من بلاد الزنج وهي شرقى القارة الإفريقية. ولا يسمى كل من كان أسود الجلد زنجياً. وإنما أخذ ذلك بنو قومنا المتأخر عن المصطلح الأوروبي فأسموا بالزنجي كل من كان أسود اللون.

والدليل على ذلك أن أهالي السودان الغربي من السنغال ومالي والنيجر كان أسلافنا العرب يسمونهم السودانيين، ولا يسمون أحداً منهم زنجياً. حتى الذين كانوا يلونهم من سود إفريقية وربما كان منهم أهالي هذه البلاد الكاميرونية كانوا في عهد تدوين كتب الثقافة العربية على

غير دين ولا حضارة لذلك أسموهم بالهمج على اعتبار أنهم لا يلتزمون بشرعية من الشرائع السماوية أو الوضعية العامة في ذلك الزمان ونعتوا بعضهم بأنهم الهمج الذين يأكلون لحوم بني آدم.

وهي تسمية لها ما يبررها من الواقع في تلك العصور فهم همج لأنه لا شرائع ولا قوانين لديهم فضلاً عن الأديان. وأما أكل لحوم بني آدم فإنه كان معروفاً عن بعضهم في القديم وحتى في هذا العصر لا تزال بعض الأماكن الموجلة في الغابة يؤثر ذلك عن سكانها كبعض الأماكن في الجابون و«افريقيا الوسطى».

بل إن ذلك مما رمي به حتى رئيس دولة افريقيا الوسطى الزائل الملقب بالإمبراطور الزائف «بوكاسا» حيث قال خصوصه: إنهم وجدوا في بيته بقايا لحوم آدمية. وإن كان ذلك مما يحتمل انهم رموا به لتشويه سمعته.

وأول انطباع كان عن هؤلاء القوم هو أيضاً خلاف ما كنت قد تخيلته عنهم من قبل فلقد زرت شمال الكاميرون القريب من حدود تشاد ورأيت الناس هناك أغلبهم من الذين يشبهون سكان السودان الغربي وليسوا من يشبهون الذين تقع بلادهم إلى الجنوب ولكنني رأيت عامة الناس هنا ليسوا من السودانيين الغربيين ولكنهم من أنسال أولئك الذين كان آباءُهم يسمون بالهمج وإن كانت صفة الهمجية قد زالتهم، وأكل لحوم بني آدم قد بعد به عهدهم حتى أصبحوا لا يعرفون منه إلا ما كان يعرفه عنه غيرهم.

ولاشك أن السبب في ذلك هو الفرق ما بين شمال الكاميرون

وجنوبه هذا الذي نحن فيه الآن. وهناك شواهد رأيتها من السيارة على الأصالة الأفريقية في هذه الأحياء منها كثرة «البساطات» وهي البضائع الصغيرة التي تنشر على الأرض للبيع وأكثر من يبيع فيها هن النساء رأيت واحدة منها فيها بصل جيد. قالوا إنه يستورد من المغرب لأن مثله لا تخرجه أرضهم. ورجل يبول في الشارع وهو واقف وقد أعطى وسط الشارع ظهره. وسوق سمك صغير متسع المظاهر، مما يدل أيضاً على أن البلاد بحرية يأكل أهلها السمك بكثرة والسوق مقام من أعمدة من الخشب الرديء تحمل أسفقاً من الصاج. وسوق صغير مكشوف أكثر البضائع التي فيه هي من الموز وقد جمعوه أكواماً مكومة.

ثم وصلنا إلى قلب المدينة الجيد فرأينا في حاشيته مصنعاً للمشروبات الكحولية ومنها الجعة (البيرة) وأبنية متعددة الطوابق «عقارات» بهيجة المنظر مما يدل على الرواج الاقتصادي إلا أن الشوارع لاتزال غير واسعة والأترية موجودة في حواشيه مع أن تنظيف الشوارع لا يحتاج إلى علم وتقنية وإنما يحتاج إلى إدارة صالحة. وجميع الشوارع هنا مزفلة وتحتلت سعة ضيقاً ولكنها لا تختلف في قلة الأصفحة إلا في المناطق التجارية.

نزلنا في فندق «بارفيت قاردن» بعد أن طرقنا باب فندق كبير بجانبه فلم نجد فيه غرفاً خالية، وأجرة الغرفة فيه ١٤ ألف فرنك إفريقي غربي ويساوي ذلك حوالي ١٢٠ مائة وعشرون ريالاً سعودياً وهو فندق لا يأس به يساوي فنادق الأولى غير الجيدة، وموقعه في قلب المدينة التجاري وعلى شارع مهم من شوارعها.

في الحي التجاري :

لم نك ننزل في الغرفة حتى تركناها إلى تمشية في هذا الحي التجاري من قلب مدينة «دوالا» فكان الملفت للنظر هنا أن اللغة الشائعة بين الناس جميعاً هي الفرنسية بخلاف شمال الكاميرون المجاور لتشاد حيث اللغة العربية الدارجة هي الشائعة هناك، ويتفاهم بها الناس فيما بينهم كما يفعلون هنا حين لا يستطيعون التفاهم بلغة محلية واحدة جامدة، فيتفاهمون بالفرنسية لأن اللغات المحلية في الكاميرون كثيرة متعددة حتى بلغ عددها في البلاد مائتين وثلاثين وستين لغة.

كما أن من الملفت للنظر أيضاً صعوبة التكلم بالإنكليزية رغم أن جزءاً من البلاد وهو الشمال كان مستعمرة انكليزية. ولكن هذه المنطقة الجنوبية التي منها مدينة «دوالا» كانت مستعمرة فرنسية إلى جانب كون اللغة الانكليزية إذا احتكت بالفرنسية هزمتها الفرنسية كما عرفت ذلك من قبل في عدد من جزر البحر الزنجي المسمى بالمحيط الهندي مثل موريشيوس ورينيون و«سيشل».

بل إنني وجدت الشيء نفسه في بلاد بعيدة عن المنطقة مثل جزر نيوهيريدز أو «واناواتو» كما تسمى الآن بعد الاستقلال. وكانت تخضع لحكم ثانٍ من الانكليز والفرنسيين غير أن الفرنسية هي التي تغلبت على الانكليزية فيها كالمعتاد. وتقع في جنوب المحيط الهادئ.

ورغم كثرة السيارات الجديدة هنا من يابانية وفرنسية والأولى أكثر ورغم نفط الكاميرون ومواردها الأخرى فإنها لا تداني بعض البلدان العربية غير النفطية كالالأردن مثلاً في كثرة السيارات.

ثم التقينا بصديق ثري لرفيق السفير الكندي من أهل مالي. وما أكثر الأثرياء الماليين — نسبة إلى المال — من أهل مالي في قطرار غرب إفريقيا التي كانت مستعمرات فرنسية فهم هنا مميزون عن أهل البلاد بقاماتهم المديدة، وأشكالهم الوجيهة، وثيابهم الفضفاضة الغالية.

وهم إلى ذلك أو فوق ذلك معروفون بعقلياتهم المتميزة عن أمثال هؤلاء القوم من أهل البلاد الأصلاء ولاشك في أن الذين يعرفون ماضي هؤلاء الأخوة المسلمين الماليين — نسبة إلى بلادهم مالي — لا يستغربون ذلك منهم.

وعندما ذهب هذا الأخ المالي والسبة هنا إلى ماشت من ماله أو بلاده — كانت الشمس قد غابت.

وخرجنا بعد استراحة في الفندق لشرب الشاي في مقهاة على الرصيف قرية من الفندق فرأيت ما أزعجني من كثرة البغایا اللائي لا يستخفين فضلاً عن أن يستحين من عرض أنفسهن في الشارع وأكثرن يسارعن في النظر ولا يكتفين بمسارقة النظر وإنما يعرضن أنفسهن على الغرباء، وبعضهن يلحفن. وهذه وصمة عار في جبين هذه البلاد الإفريقية.

إذا كانت أعرافهم أو أديانهم أو لنقل أحکامهم في قوانينهم التي ورثوها عن مستعمريهم الفرنسيين لا تمنع من ذلك فليكن في حدود أو في قيود، أو داخل سدود. كما تفعل أكثر البلدان التي لا تعرف حدود ما أنزل الله على رسوله.

والملحوظ أن أكثر هؤلاء البغایا كأكثر ساكنات البلاد ليس فيهن ما

يعري بإعادة النظر فضلاً عن التفكير فيهن. ولكن.

لكل ساقطة في الحي لاقطة وكل بائرة يوماً لها رجل.

ولقد لاحظت بعض البيض الذين لا أدرى إلى أي جنس يتبعون وهم يصطحبون سوداوات من أهل البلاد و «إذا لم تستح فاصنع ما شئت».

وليس هذا الكلام قدحاً في السوداوات أو تفضيلاً للبيضاوات عليهم ولكنه قدح لفعلهن، لا يتعلق بلونهن كما كان قدحاً في أفعال نسوة لهن مثل عملهن، ولكن ليس لهن جلدهن في بلدان بعيدة عديدة من أنحاء العالم من البلاد التي يصح أن يقال في أهلها المثل العالمي «لا خوف من الله ولا حياء من خلق الله».

ومن المضحك المبكي أنني عندما سمعني أحد موظفي الفندق أتحدث في هذا الأمر مع رفيقي الشيخ الستوري بمناسبة مرور طائفة منهم وأخبره الستوري بما أقوله بادر ذلك الرجل ليقول: هؤلاء لسن كلهم من الصائدات المتعطلات بعضهن موظفات وبعضهن عاملات في النهار. وفي الليل يعملن هذا العمل لأنه ليس لديهن رجال.

وكان هذا المساء الخالي من العمل مدعاه للنوم المبكر.

يوم الأربعاء ٢٥ / ٤ / ١٩٨٥ هـ ١٦ / ١ / ١٩٨٥ م
صباح دوالا :

أزاحت ستارة النافذة الشرقية من غرفي فرأيتها تطل على حي جيد رأيت منها وهي التي تقع في الطابق السادس بيت هذا الحي من قلب المدينة كلها إسمانية بعضها من المسلح وبعضها بلبن الاسمنت

ويجمع بينها أن سقوفها كلها من الصفيح المسمم الأبيض اللون الذي تغير أكثره بسبب المطر والجرو، ولم يجدد طلاوة.

وبين هذه البيوت أشجار من أشجار المناطق الاستوائية أهمها وأكثرها نخيل الزيت الذي يشبه نخيل التمر في بلادنا غير أنه أغليظ سوقاً، وطلعه يشبه بسر التمر إلا أنه صلب ويستخرج منه زيت أحمر يستعمل في الإدام للطعام ولأغراض أخرى، وهو نافع جداً في المناطق الاستوائية التي لا تعيش فيها حيوانات اللحم بكثرة بسبب الأمراض والحيشات التي تصيب الحيوان في مناطق الغابات، وعدم وجود أراضٍ منبسطة حافلة بالمراعي في تلك المناطق.

ولقد ذكرني مرأى نخيل الزيت بين تلك البيوت منظر نخيل التمر بين بيوت المدن في بلادنا. كما توجد على قلة أشجار (المانقو) في وسط هذه البيوت ورأيت بجانب هذا الحي بناء مؤلفاً من عشرة طوابق وقد بنوه بطريقة غريبة إذ جعلوه كأبنية الأعنكا سكان جبال الإنديز القدماء في أمريكا الجنوبيّة من ناحية كونه عريض الأسفل ضيق الأعلى بحيث كلما ارتفع ضاق والظاهر أن هذا مستوحى من طراز للبناء قديم عندهم.

ومن الجهة الغربية من الفندق رأيت خوراً من البحر وهو الخليج منه داخلاً في الأرض وعليه أبنية حديثة فاخرة متعددة الطوابق وجسر يرى على بعد، وبshire منظر شاطيء هذا الخور منظر شاطيء النهر لكتافة الأشجار والنبات على ضفافه. والسبب في ذلك غزارة الأمطار، وكثرة نزولها فتغسل عن الشاطيء أملاح البحر. والبحر هنا هو المحيط الأعظم المسمى الآن بالمحيط الأطلسي.



جانب من مدينة دوالا واقع على المحيط

ضريبة العمل في البلدان المختلفة :

للعمل في البلدان المختلفة في الإدارة ضريبة لابد أن يدفعها من يتعامل مع الناس فيها من وقته وجهده وماله.

وهذا ما حصل لنا اليوم فقد كنا قرناً أن نخصص صباح هذا اليوم لزيارة المساجد والاجتماع بال المسلمين في المدينة على اعتبار أنه اليوم الذي قضيه كاملاً في الكاميرون في هذه السفرة، وأن قضي النصف الأخير منه في الإطلاع على المعالم السياحية في هذه المدينة.

وقد أفطرا مبكرين وكانت مسروراً لذلك سروري بالاطلاع على أحوال بلاد جديدة على كالعادة. وذهبنا لبيت أخي مالي ثري إسمه «محمد يوروو ماما» صديق للسفير اللكوري وكنا أعطيناه جوازاتنا الليلة البارحة ليرسلها مع أحد الإخوة إلى العاصمة ياوندي لكي تسعى السفارة

ال سعودية فيها بسمة دخول لنا إلى جمهورية إفريقيا الوسطى التي سننافر إليها غداً من الكاميرون على أن يعود بالجوازات مساءً وأن ندفع أجرة تذكرته وشيعاً من المكافأة له.

وذلك أنه لا توجد سفارة لافريقيا الوسطى في بلادنا و كنت أرسلت الجوازين من مكة المكرمة إلى مدير مكتب الرابطة في جدة وطلبت منه أن يأخذ عليها من السفارة الفرنسية في جدة سمة دخول إلى جمهورية إفريقيا الوسطى فأعاد الجوازين وقال: لقد تم كل شيء ولكنني عندما تأملتها بعد السفر عرفت أنه قد حصل لنا على سمة دخول لفرنسا بدلاً من جمهورية إفريقيا الوسطى.

ولكن الأخ المالي «محمد يوروماما» ذكر لنا اليوم خبراً ساءنا وقد كنا قصدناه لشيء آخر وهو أن يصبحنا بنفسه أو يدلنا على شخص يفهم موقع المساجد، ويعرف كبار المسلمين ليصبحنا في الجولة هذا الصباح غير أنه أخبرنا بما ساءنا وهو أن الرجل الذي كان سيسافر إلى عاصمة الكاميرون «ياوندي» لتسليم الجوازين للسفارة السعودية هناك لم يجد مكاناً في الطائرة فلم يسافر، كما أخبرنا بشيء أقلقنا وهو أن تذاكينا التي كانت الخطوط السعودية قد أغلقتها على الشركة الإفريقية «إيرافريك» لم تقبلها شركة طيران الكاميرون وإن الشركة الإفريقية ليس لديها رحلة إلى «بانغي» عاصمة إفريقيا الوسطى إلا يوم الأحد على حين أنها لا تستطيع أن نضيع خمسة أيام في مدينة «دواولا» لو كنا نملك هذه الأيام لاسيمما ونحن لدينا موعد قد ارتبطنا به لمقابلة رئيس جمهورية النيجر يوم الثلاثاء في عاصمة الشيجر «نيامي».

فعدنا بسرعة إلى الفندق للاتصال بالسفارة السعودية وكنا تركنا رسالة هاتفية أمس للسفير الأخ عبد الرحمن العقيل بهذا الأمر فأردنا أن نخبره

أنه لم يمكن إرسال الجوازات فوجدنا هاتف الفندق قد تعطل. وكان المصعد أيضاً قد تعطل في هذا الصباح ورأيت طائفة من السياح يحملون أمتعتهم على ظهورهم ينزلون بها الدرج الطويل.

وذهب الشيخ الذكوري إلى الشركة الإفريقية لفتح التذاكر لتصبح صالحة للسفر إلى «بانغي» مع الخطوط الكاميرونية غداً الخميس، ولكن الموظفة قالت إن الشركة الكاميرونية لا تقبل ذلك لأنه ليس بينها وبين الشركة السعودية معاملات على اعتبار أن الكاميرونية ليست من الشركات الدولية فترك بطاقة امتياز كانت قد أعطته إليها إدارة الشركة الإفريقية الرئيسية عند الموظفة وطلب منها أن تسلّمها لمدير الشركة بنفسه وهي «إير أفريكا» في «دوالا» لأنه لم يكن موجوداً وعاد اليه مسرعاً.

ووحدنا الأخ السفير عبد الرحمن العقيل جزاء الله خيراً قد أرسل رسالة (تلكسية) عاجلة وقال إنه متضرر الجواب يذكر فيها أنه أرسلها بسبب تعطل الهاتف في فندقنا وإنه يطلب جوابها الآن وفيها يقول: إنه سر بوصولي إلى الكاميرون ويطلع إلى أن أزور العاصمة ياوندي لأطلع على أحوال المسلمين التي تحتاج إلى عنابة عظيمة وإنه أولاً يطمع في أن أتكلم معه بالهاتف.

فكان أن خرجنا إلى فندق ميريديان واتصلنا بعد لأي بالسفير وأخبرناه بمشكلة سمة الدخول وعدم استطاعتنا إرسال العوازل إليه في ياوندي. وكان شهماً كما عرفناه فقال: إن القوم يشددون في هذا الأمر، ولكنني سوف أعمل اللازم لكم فلا تترددوا وستجدون كل شيء أمامكم ممهداً في مطار بانغي، عاصمة إفريقيا الوسطى رغم ضيق الوقت.

وقال: إنني سوف أذهب بنفسي الآن إلى سفير جمهورية إفريقيا الوسطى وأطلب منه أن يرسل برقية عاجلة إلى حكومته لمنحك التأشيرة في المطار كما سوف أتصل فوراً بالسفارة السودانية في «بانغي» لتتولى استقبالكم، وتسهيل دخولكم وان الشيء الذي آسف له أنني لم استطع اللقاء بكم لأشرح لكم أحوال المسلمين هنا التي لا يصح السكوت عليها، وما يتعرضون له من الدعوات الفاسدة فشكراً على ذلك كثيراً. وعدنا إلى الفندق، ونحن خائفون من أمر التذاكر وقد فاتنا الوقت الذي خصصناه للمرور على المساجد، ولم يحضر مدير الشركة الإفريقية إلى مكتبه.

في منطقة السوق :

هكذا يسمون المنطقة «منطقة السوق المركزي» ويسمى الحي «حي نافوي» وفيها يقع محل الأخ المالي (محمد يوروماما) وقد وجدنا السوق مزدحماً بالناس الذين هم من الإفرقيين الأصلاء وأكثر التجار والباعة فيها هم من السودان الغربي الذي يشمل مالي والسنغال والنيجر وشمال نيجيريا وأكثر المشترين المتتسوقين في هذه السوق هم من أهل البلاد الأصلاء الذين هم من سكان خط الاستواء. ولابرى المرء منا في هيئاتهم واشكالهم شيئاً من الوجاهة.

وتكثر فيه السيارات الصغيرة المارة ومنها عدد من سيارات الأجرا، والمتجار خاصة بالسلع من كماليات وغيرها، إلا أن الملاحظ أن حالة السوق والحوانيت القرية منه سيئة من حيث النظافة بل إن حواشي الشوارع قدرة والارصفة ليست بحالة جيدة.

حتى إني رأيت محلًا لبيع الدراجات النارية واصلاحها وقد اسودَ
الرصف الذي هو عليه كله من أثر الزيت المستعمل وغيره.

والجو حار رطب ثقيل شعرنا بوطأته منذ الصبح صداعاً في الرأس،
وفوراً في الجسم هذا مع العلم بأننا الآن في شهر يناير أشد أشهر
السنة برداً في بلادنا ولكننا هنا تحت خط الاستواء، حيث لاشتاء ولا
صيف ولا ليل يطول ولا نهار يقصر طول الدهر وإنما البرد يكون أوقات
المطر وهو برد خفيف، والحر يكون عندما تشرق الشمس وهي حارة
جداً وبخاصة اذا تخلف المطر كثيراً. ولكن الشدة ليست في مجرد
الشعور بحرارة الشمس، وإنما في أشعتها التي تسقط رأسية فتؤدي من
لم يتعودوا عليها وبخاصة من غير ذوي البشرة السوداء.

عدت الى الفندق وذهب رفيقى السفير الدكوري لمراجعة الشركة
الأفريقية من أجل التذكرة فوجد المدير في مكتبه ووعله خيراً في
الصبح.

أما أنا فقد فسد برنامجي اليوم وجلست في مقهاة على الرصف
غير بعيدة من الفندق وقد كثر الناس في الشارع عند الساعة الخامسة
عصرًا، وظهرت طوائف من نساء أهل البلاد الأصليين. وقد قلد بعضهن
الأوربيات وهن الأقل، ولكن أشكالهن وهن على هذا التقليد الأعمى مما
يصاد عن النظر، ويبعدهن عن الفكر، وقيل لي إنهم يحاولون ان يجعلن
انتباه الناس إليهن بهذا اللباس الذي يشبه لباس بغايا باريس بعضه ضيق
 جداً وبعضه يبرز جزءاً كبيراً من الجسم ربما اذا ارتديه الباريسية كان لها
مما تزعمه من مظاهر بشرتها ما يبرر لبسه وأما هؤلاء المقلدات فإن ستر
البشرة عند اكثريهن من الجمال.

وقد من أمام المقهأ عدد من الأوربيات أكثرهن من الفرنسيات وقد بدين بألوان أكثر اشراقاً وأذواقاً أرقى مذاقاً مما كان عليه في الحقيقة وأما السودانيات اللاتي نسميهن في بلادنا بالتلكرنيات فأنهن هنا يبدين أيضاً على جانب كبير من الوجاهة والجمال بالنسبة لهؤلاء الاستوائيات.

والسودانيات منسوبات للسودان الغربي وهناك قلة قليلة جداً من الخلاسيين، وهم المهجون كما يسمونهم بعض الناس أو الكاباتشينو كما يصفهم الإيطاليون ويりدون بذلك القهوة باللبن وهم المولودون بين البيض والسود والوانهم خلاصية أو بنية أو نحاسية. ولكن أشكالهم وتقسيم وجههم ليس فيها من الوجاهة شيء فيما نراهم فيهم.

واما معاملة الناس من أصلاء ودخلاء هنا فإنها غاية في الود، وحسن الحديث واحترام الضيف من الآجانب وبخاصة من يسمونهم البيض أمثالنا وهم في هذا الأمر أرقى من كثير من البلاد التي تدعي التقدم في آسيا وإفريقيا. وقد عرفنا ان الأمن جيد وان الانتهاب قليل والسرقة ليست متفضية إذا ما أخذ المرء بالإحتياط المعتاد. حتى الباعة الجائلون لا يلحون على الغريب وسائر الباعة لاتراهم يحاولون ان يتزروا مالك لأن يزيد عليك سائق سيارة الأجرة أكثر من أهل البلاد.

يترجمون على الرئيس السابق:

رئيس الكاميرون الذي قاد البلاد منذ الاستقلال حتى عهد قريب هو (أحمد أهيجو) المسلم الذي لم يكن يعمل للإسلام أو لا يتظاهر بذلك حرصاً على منصبه واظهار الحياد بين المسلمين والمسيحيين، وإن كان يقرب بعض المسلمين بحكم قربه منهم ومعرفته لهم. وقد

حكم البلاد بعد الاستقلال وعدد المسلمين أقل من غيرهم في جزء الكاميرون الشمالي الذي كان مستعمرة بريطانية والجنوبي الذي كانت تحكمه أو تملكه فرنسا.

وقد زاد عدد المسلمين الآن، ولكنه تخلى عن الحكم طوعية ودون إكراه فيما أعلن وقيل. ولكن الذين يعرفون بوطن الأمور هنا قالوا: إنما كانت مؤمراً انطلت عليه وعلى انصاره، وملخصها أنهم أوهموه بموجب تقرير طبي أنه مصاب بالسرطان الميؤس من شفائه وأن عليه أن يتخلى عن الحكم في حياته لنائبه المسيحي (بول بيا) لئلا يحصل الشقاق والخلاف بين السياسيين من مسلمين ومسيحيين بعد وفاته فيكون في ذلك الخراب للبلاد والبلاء للعباد، وربما يتعرض استقلال البلاد الذي ناضل من أجله، ثم حرص على صيانته السنتين الطوال، لخطر الإضطراب أو الزوال.

قالوا فاستقال بالفعل ولكنه بعد أن أمعن في إجراء الفحوصات وخرج الأمر من يده عرف أن الداء القاتل عنه بعيد.

وكنت قد عرفته هادئاً الطبع، رزين الحركات عندما اجتمعت به في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة أثناء إحدى زياراته للمملكة وكانت آنذاك الأمين العام للجامعة، وأعلى موظف فيها رتبة عندما زار الجامعة إذ كان رئيس الجامعة غائباً. وقد قيل لنا: إن من أهم خلائقه التي عرف بها في بلاده محبته للهدوء ومحاجمة الآخرين ولو على حساب ما يراه المصلحة العامة. وانه قد أثرى ثراء عربيضاً حتى قدر بعضهم ثروته عندما ترك الحكم بعشرات الملايين من الدولارات هكذا قيل لنا والله أعلم بحقيقة الحال.

واليوم بعد أن مضى على تخليه عن الرئاسة مدة جرب الناس خلالها من حكم بعده وجرروا من كان حوله فإنهم مسيحيتهم ومسلمتهم اخذوا يترحمن على الرئيس (أحمد أهيجو) وعلى عهده. فقد ساءت الادارة وأهملت المرافق العامة ورأينا شواهد ذلك في الشوارع والحدائق وذلك رغم غنى البلاد وعائداتها من النفط والبن والاخشاب وغيرها.

ولقد حاول بعض المسلمين الثورة على الحاكم الجديد فأمعن فيهم بطشاً وتنكيلاً مع أن الثروة النفطية التي تنعم البلاد بخيراتها، وتميزها عن البلاد الإفريقية القرية منها التي لا يوجد فيها النفط هي في الأقليم الشمالي: بلاد المسلمين بل لقد اتسمت فترة من العهد الأخير بأنها فترة اضطهاد النابهين من المسلمين من الضباط والمتعلمين وغيرهم وقد وجد بعض الحاقدين من المستعمرين السابقين وغيرهم من الحاقدين على الاسلام حتى بعض اليهود فرصة للتدخل في شئون البلاد ومنع المسلمين النابهين من شغل المراكز المهمة في الدولة .

وفي المساء كان العشاء في مطعم إفريقي خالص يملكه ويدبره طائفة من الأفاريقين الذين هم على جانب من الوعي الصحي والنظافة في الأدوات فقد جاءوالينا عندما عرفوا أننا من الأجانب وتحديثوا عن الطعام وكان العشاء فاخراً واهم ما فيه نوع جيد كبير من (الأعربيان) الذي نسميه في بلادنا بالروبيان ويسميه اخواننا المصريون بالجمبري ويسمى بالبرتغالية وغيرها من اللغات اللاتينية بالكامرون مما جعلنا نتساءل عن العلاقة ما بين اسم هذه البلاد (الكامرون) وبين اسم هذا الأعربيان (الكامرون) وهناك أيضاً نوع محلى من السمك النهرى الجيد. إلا أن الوجبة كانت غالية بلغت تسعة آلاف فرنك للشخص الواحد ويساوي ذلك عشرين دولاراً امريكياً.

يوم الخميس ٢٦/٤/١٩٨٥هـ ١٧/٤/١٩٨٥م.

بكرنا بالذهاب إلى الشركة الإفريقية فوجدناهم قد قرروا أن يعملا عملاً طيباً وهو أن ييدلوا تذكرة السعودية من دوالا إلى (بانغي) بتذكرة مماثلة لها بالدرجة الأولى صادرة من شركتهم (إير إفريكت) حتى لا تتردد الشركة الكاميرونية في قبولها. فبقينا عندهم فترة من الوقت حتى أكدوا ذلك، وليس في هذا المكتب أى شيء من الآلات الحاسبة مما يسهل العمل، وإنما كانت فيه موظفة إفريقية تعمل كل شيء بيدها، وقد تنفسنا الصعداء حينما انهت ذلك وقالت: إنها وضعت الحجز على التذكرين بالدرجة الأولى .

إلى المسجد العتيق

وقد يسميه بعضهم بالمسجد الجامع فقط. اخترقنا قبل الوصول إليه حياً جيداً اسمه (بالي) يقع في ضاحية من المدينة جميع البيوت فيه لها حدائق تظللها الاشجار الباسقة، مما يدل على قدم هذا الحي. إلا إذا كانت هذه الاشجار جزءاً من غابة قديمة كانت موجودة قبل البناء فيه. وشوارع هذا الحي كلها جيدة الزفلة.

ووصلنا إلى السوق المركزي الذي كنا قد قربنا منه أمس، ولم ندخله لأن المسجد الجامع يوجد قريباً منه. وقد دلنا على وجود المسجد(بسطات) أي بضائع مبسوطة على الأرض أو موضوعة على سساط أو فراش فيها وهي فوق الرصيف الذي يقع عليه حائط المسجد وجميع الباعة فيه من المسلمين تدل على ذلك هيئاتهم وأظهرها وضوحاً القمص العربية — جمع قميص وهي الطويلة مثل القمص التي عندنا في المملكة، والطواقي جمع طاقية — وهو القلنس على الرؤوس.

وقد انتظموا في صفوفٍ كأنما نظموا فيها تنظيماً فهناك صفٌ طويل جداً كلَّ الذين فيه يبيعون بضاعة واحدة وهي الأحذية والمصنوعات الجلدية مع العلم بأنهم كلَّهم ليسوا في حوانين حتى ولا خشبية، وإنما جلسوا في ظلِّ حائط الجامع الذي تحف به أشجار غير متنصقة، ولكن الوقت الآن في الصباح ولم ترتفع الشمس في قمة السماء فتنزل أشعتها عمودية على الرؤس.

وبعض الحقائب الجلدية ثمينة من جلود التماسيع أو الحيات ويسمون الحياة أصلة وهي تسمية عربية فصيحة.

ثم صف آخر من البايعة الذين اكثُرُهم من المسلمين المتقدمين في السن بخلاف الذين قبلهم وليس في هؤلاء البايعة امرأة بل كلَّهم رجال وهذا الصف الأخير بضاعة الجالسين فيه أنواع منوعة من الأدوية الشعبية منها ما هو معروف لدى مرافقي لأنهم من السودانيين الغربيين ومنها ما هو غير معروف إلا لأهله، أو المتعاملين معهم وهي أعشاب منوعة يابسة، ومساحيق ملونة، ومنها كسر صغيرة من الخشب قال البائع إنها تنفع للزكام ثم أبرز دواء آخر موضوعاً في قرطاس، وقال هذا لكتذا وغلبه الحباء فلم يكمل عبارته فتبرع أحد الطفيليَّن الواقفين بإكمالها فقال: إنه نافع للباء.

وأكثر البايعة يعرفون العربية أو شيئاً منها قالوا: لأننا من تشداد وبعضهم من شمال الكاميرون وكلاًّ الأقلَّيين تشيع في اللغة العربية، بل تعتبر العربية هي اللغة الوحيدة المشتركة في الفهم بين الناس فهم يتفاهمون بها فيما بينهم هناك.

في المسجد العتيق.

دخلنا المسجد الجامع من باب خلفي يفضي الى فناء واسع جداً قد ظللوا سقف من الصفيح قائم على اعمدة دقيقة جداً من الاسمنت المسلح. وقد جعلوه كذلك بمثابة الزيادة في الجامع حتى يتسع للمصلين الكثر يوم الجمعة، وأعتقد أن الفناء الخارجي هذا وحده يتسع لحوالى الفي مصلٍ. ومن لطيف ما شاهدنا في جانب هذا الفناء لافتة بالعربية نصها: المعهد الإسلامي الثقافي لمسجد الجامع. فوق ذلك بالعربية ايضاً: بسم الله الرحمن الرحيم «طلب العلم من المهد إلى المهد» و«طلب العلم فريضة على كل مسلم و المسلم» وجملة أخرى ربما كان اصلها بيتاً من الشعر المحرف كتبوا في سطر واحد وهي: «العلم باجتهاد. لكن أوله مر» وتحت ذلك بحرف أصغر: «بخط المدير المعهد الحاج فاروق سي..»

ومن هذا الفناء الذي هو ميلتو بالاسمنت ولم يكمل تبليطه إذ لايزال عمال يعملون في تبليط جزء منه قصدنا المصلى الرئيسي فوجدنا بابه مغلقاً ولم نجد من لديه المفتاح ، وهنا رأينا أحد الاخوة المسلمين فأخبرنا ان هذا الفناء الواسع كله زيادة في المسجد، وقال: إن السبب في ذلك هو زيادة المسلمين هنا زيادة كبيرة فهم يأتون من شمال الكاميرون الذي اغلبيته مسلمة ومن تشاد، وبعرض المواطنين الاصلاء من الأفارقة يدخلون في الإسلام وهنا ذكرت قوله للأخ (محمد يورو ماما) الثري المالي وهو أنه كان المسلمين في القديم موجودون في شمال الكاميرون فقط وكانوا قلة في الجنوب والآن حصل الامتزاج فكثر المسلمين في الجنوب، وكثير المسيحيون في الشمال نتيجة لتوحيد البلاد وإنقال المواطنين من جهة الى اخرى.

ورجعت لتأمل المسجد من الخارج وصورت مناته التي هي ظاهرة في هذا القسم المهم من قلب المدينة الشعبي التجاري كما صورته من الداخل غير أن

الشريط الذى فيه الصورتان فسد بسبب عطل فى المصورة ولم أستطع التجول أكثر من ذلك لأن أشعة الشمس حارة شعرنا بوعها على رؤسنا وأجسامنا أنا ورفيقى السفير الذكوري، فعدنا الى الفندق.

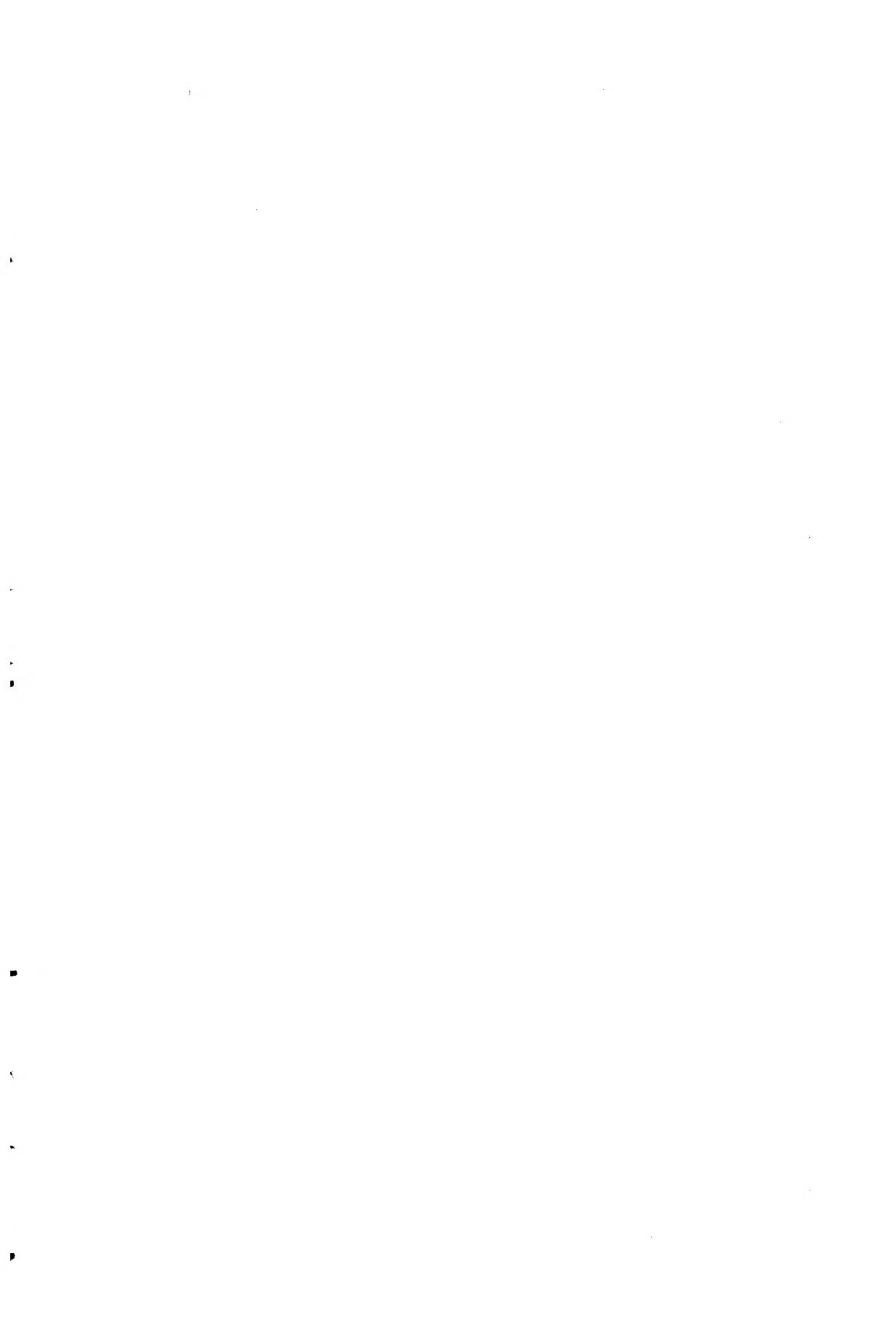
مغادرة الكاميرون:

كان موعد السفر إلى (بانقى) عاصمة جمهورية إفريقيا الوسطى بعد الرابعة لذلك خرجنا إلى المطار في الثانية والنصف، وكان من الملفت للنظر أننا وجدنا تفتيش أمتעה المسافرين يتم بالآلات الكبيرة المعتادة التي تصور الأمتعة وهى تمر بها فوق سير يتحرك بالكهرباء إلا انهم هنا كتبوا إعلانا بالفرنسية وإنجليزية يقول: إن هذه الاشعة تضر بالمصورات (الآت التصوير) وأشرطته (الأفلام) وكان معى في الحقيقة الكبيرة أشرطة عدة ويؤدى فتحها غير أن الجواز السياسي أعفانا من ذلك إذ سمحوا بجميع أمتاعنا بالدخول دون تصوير.

ووزن موظف الترحيل أمعتنا قبل غيرنا لأن الشيخ الذكوري يحمل كما قلت — بطاقة امتياز من الشركة الإفريقية (إيرأفريك) ولكن ذلك لم ينفعنا إذ قال الموظف: إن عليكم الانتظار لأننا لا نعرف ما إذا كان يوجد لكم مقاعد بالدرجة الأولى.

وبعد انتظار ممل أخبرنا بعدم إمكانية ركوبنا في الأولى فختم تذاكرنا بعد أن كتب عليها ذلك وقال يمكنكم أن تستعيدوا الفرق من الخطوط السعودية.

(إلى جمهورية إفريقيا الوسطى)



من دوالا الى بانغي :

صعدنا إلى طائرة خطوط الكاميرون في الرابعة والنصف عصراً وطلت الطائرة واقفة وهي مليئة بالركاب مدة ساعة إلا ربيعاً تعطل التكيف فيها فلقينا من ذلك عناء وهي من طراز بوينج ٧٠٧ وقد اعتذر الطيار عن هذا التأخير ولم يبين سببه أما الركاب فانهم خليط من السود والبيض ثلثاهم من السود وثلثاهم من البيض السياح وتعرفنا على آخر من موريتانيا في الطائرة صديق لرفيقى السيد الذكورى وهو (محمد محمود ولد دي) وزير الاقتصاد والمعادن وعضو المجلس العسكري في موريتانيا.

والطائرة أثاثها متوسط وأما المضيفات وهن الوطنيات الكاميرونيات فهن من (المستورات) وليس المراد بذلك المستورات عن العيون فذلك لا مكان له من تفكيرهن فضلاً عن فعلهن، وإنما المراد بذلك أنهن ممن لم يرزقن حظاً كبيراً من الجمال. وملامحهن تدل على أنهن من جنوب البلاد وأما شمال الكاميرون فان فيه من الجميلات من ينافسن جميلات إفريقية ناهيك بالفلانيات الرشيقات!

نهضت الطائرة وهي تز مجر فوق المستنقعات القريبة من العاصمة ثم ارتفعت فوق الغابات وقد آنسـت منها صوتاً منكراً في الزمرة وخشيـت أن يكون صوتها لخراب فيها. ولكن الله سلم إلا أن المزعـج أن الصوت يسمع بـقوـة من داخل الطائرة وكأنـها الطائرة المروحـية مما يدلـ على أن عازـل الصـوت من داخل الطـائـرة لا يـعملـ.

ثم بـدتـ الغـابـاتـ الكـثـيفـةـ المـطـبـقـةـ وـبـيـنـهـاـ يـتـلـوـ النـهـرـ الذـيـ رـأـيـهـ عـنـدـ الـقـدـومـ وـلـمـ نـظـرـ مـيـاهـ هـذـاـ النـهـرـ الغـزـيرـ وـسـطـ الغـابـاتـ المـظـلـمـةـ معـنـىـ فـيـ النـفـسـ فـيـ هـذـهـ الفـتـرـةـ التـيـ تـشـكـوـ فـيـهـاـ أـكـثـرـ أـجـزـاءـ القـارـةـ الـأـفـرـيقـيـةـ الغـرـيـبةـ

من الجدب والمحل وانحباس المطر فيما يسميه عوام الكتاب بالجفاف، وبخاصة أن الطائرة عندما ارتفعت كثيراً لكي تستوي في الجو منعت ابخرة المياه المتتصاعدة من هذه المنطقة المشبعة بالمياه رؤية الأرض والأشجار بوضوح، وتضافت معها قطع خفيفة من الغيوم فاغلقت النظر تماماً فصرنا ننظر إلى داخل الطائرة وأهم ما فيه الكاميرونيات (المستورات) يسعين في تقديم ضيافة خفيفة بل طفيفة لا تزيد على (شطيرة) صغيرة وكأس من الشراب مع أن الوقت يقارب السادسة ومدة الرحلة تصل إلى ساعة ونصف كما سمعنا خارج الطائرة وإنما في إعلان الطائرة لم يذكروا المسافة لها بالفرنسية التي هي الأولى هنا ولا بالإنكليزية.

وبعد ساعة من الطيران بدأت زمرة الطائرة تخف قليلاً مما يدل على أنها بدأت التدنى إلى الأرض شيئاً فشيئاً غير أن المنظر كان الظلام الدامس لأننا وان كنا ذاهبين إلى بلدة لا يتغير فيها توقيت الساعة عن الكاميرون فإنها واقعة شرقاً منها وهي (بانقى)، ولم أر في هذه المنطقة التي هي منطقة غابات استوائية كثيفة أية أنوار تدل على العمارة مما يعني أن هذا القسم غير معهود عمارة مزدهرة. ثم شاهدنا قرب المطار أنواراً خافتة ضئيلة.

في مطار بانقى

كانت أنوار المطار نفسه ضعيفة لا تدل على الشراء ولا على الازدهار أو هذا هو ماتبادر إلى ذهني والطائرة تقبل وهي عجل إلية، ثم نزلت الطائرة فيه نزواً خشناً بحيث قفزت إلى الأمام وهي تتمايل قبل أن تستقر على المدرج وبدا لي أن فيها خللاً ولم اسمع بشيء من ذلك،

إلا أنني عرفت بعد ذلك أنها لم تستطع العودة إلى الكاميرون كما كان مقرراً لها في تلك الليلة وكاد ينقضى نهار الغد وهي جاثمة على أرض المطار تنتظر الاصلاح ثم الصلاح، وكان نزولها في السادسة والثلث بتوقيت دوالا الذى هو التوقيت نفسه لبانقى بل لجمهورية إفريقيا الوسطى كلها.

وجدنا مندوياً من السفارة السودانية يتضرنا عند سلم الطائرة وهو الأخ (دفع الله الحاج علي عثمان) (سكرتير) السفارة، والمسئول فيها عن الشئون الثقافية ومنها الأمور الإسلامية. فرحب بنا وهو يعتذر بأن البرقية وصلت متأخرة من «ياوندي» عاصمة الكاميرون وإلا لكنا وجدنا مستقبليين كثراً في المطار وقال لنا الأخ إن السفير يبلغكم تحياته ويعذر بإنشغاله مع وفد السودان الذى يرأسه الوزير (أديل أlier).

دخلنا إلى غرفة كبار الزوار في المطار أو (صالون الشرف) كما يسميهما عوام الكتاب وأردنا المبادرة إلى الجلوس على بعض المقاعد الخالية في صدر الغرفة فأخبرنا الموظف المسئول أنها محجوزة لعدد من الوزراء بعضهم مسافر وبعضهم قادم. وخبرونا أن في البلاد مؤتمراً للنقل والمواصلات في دول وسط إفريقيا من شرقها إلى غربها جاءوا لبحث الطريق القاري الذى يربط بين شرقى القارة عند مدينة (ممباسا) كما تعرف الآن أو (منبيه) كما سماها ابن بطوطه وهى واقعة على البحر الرنجى وإن كان عوام الكتاب يسمون هذا البحر المحيط الهندى وليس هو من الهند بقريب. ويريد المؤتمرون أن يمتد هذا الطريق القاري ليصل إلى أحد موانئ غرب إفريقيا الغربية على البحر المحيط الأعظم كما كان أسلافنا يسمون المحيط الأطلسي ويرأس هذا المؤتمر

السودان ويمثله فيه الوزير (أديل البير) من الأقليم الجنوبي.

ذهب الأخ (دفع الله) يسعى في الحصول على سمة الدخول بعد أن كان أخبرنا أنه عندما اتصل بوزارة الخارجية في إفريقيا الوسطى طالباً إصدار أمرهم إلى المطار بذلك وأخبرهم أننا في مهمة إسلامية لم يفهموا الأمر على وجهه وقالوا: كيف يكون وفد من (الدبلوماسيين) نظراً إلى جوازنا السياسي أحدهما مالي والآخر سعودي — يأتون في مهمة إسلامية ولم يكن لحكومة (إفريقيا الوسطى) علم مسبق بذلك. قال: إلا أن القوم طيبون وقد أخبرني مدير المطار أنه سيمنحنا لكم (التأشيرة) المطلوبة.

ظللت واقفاً أحمل بيدي حقيتي اليدوية فرأيت مقعداً خالياً في وسط القاعة أى في غير المكان الذي ذكروا أنه محجوز للوزراء وليس بقريه ما يدل على أن أحداً كان يجلس عليه من متاع أو نحوه فجلست فيه أستريح.

ولم أكدر فعل ذلك حتى أقبل إفريقي قصير يرتدي بدلة كاملة مع رباط العنق رغم الحر وقال لي بالإنكليزية: هذا مكانى ألم تعرف بذلك؟ لم تجلس عليه؟ فقلت له: إنني لم أعرف ذلك ، وبإمكانك أن تفضل بالجلوس فيه وقمت عنه فجلس فيه، وقد أخبروني بعد ذلك أنه نائب وزير في أحد الوفود إلى هذا المؤتمر .

وقد شغل الوزراء الأفارقة أكثر المقاعد في القاعة بالفعل منهم وزراء النقل والمواصلات في نيجيريا والكاميرون وأوغندا وغيرهم إضافة إلى الوزير الموريتاني وقد تجلت البساطة وعدم التكلف في تصرفاتهم ما عدا التمسك باللباس الإفريقي الكامل في هذا الجو الحار، وشيء من

الاستعلاء على من دونهم من الموظفين الإفريقيين، ثم حضرت موظفة من المراسم قال الأخ السوداني: إنها جاءت تسعى في أمركم وقال يحدثنا عن مدينة (بانقى) في هذه الأيام: إنه لا توجد غرف حالية في الفنادق المناسبة وقد بحثنا عن أمكانية لبعض السودانيين فلم نجد وذلك لمناسبة انعقاد مؤتمر الطريق القاري، ولذلك فانتي أدعوكم لتنقضوا الليلة معي في بيتي، وغدا نسعى في البحث عن غرف لكم في الفنادق، فشكراً على دعوته وطلبنا منه أن يحاول البحث عن فندق في هذه الليلة فقال: إنه متتأكد مما قاله.

وكنت أتأمل هذه الغرفة الصغيرة فأجد فيها صورة كبيرة لفرنسا
ميتران رئيس فرنسا تقابلها صورة كبيرة أيضاً لرئيس جمهورية إفريقيا
الوسطى وهو (كولين با). مما يدل على متانة العلاقات بين البلدين
وبخاصة إذ تذكر المرأة أن هناك قاعدة فرنسية مهمة في هذه البلاد،
ومنها انطلقت القوات الفرنسية إلى (تشاد) بعد دخول القوات الليبية إلى
شمال تشاد.

في مدينة بانقى :

إسمها قبلي إفريقي قديم وكذلك اسم النهر الذي تقع عليه المدينة
وهو (أوانقى) ولذلك لا مجال لتعليق التسمية.

انطلق الأخ السوداني (دفع الله) الذي دفع الله به عنا الارتكاك
والاضطراب فيما لو لم نجده، وحاولنا الدخول بدون تأشيرة مسبقة ولم
يكن معه بسيارته غيرنا فسار مع شارع واسع قال: إنه صار كذلك لأنه
كان مدرج المطار القديم لذلك ابقوه على سعته.

وسرنا قليلاً فبدأت المدينة على هذا الشارع الواسع الذي تقع عليه عدة وزارات أهمها الخارجية .. إلى جانب (جامعة بانقي) ومبني الإذاعة والتلفزة والمبنى يضمها معاً وهو ليس كبيراً ولكن هذه البلاد قليلة السكان محدودة الأهداف في الوقت الحاضر لذلك لا تحتاج إلى إذاعة كبيرة ولا إلى تلفزة واسعة إذ لايزيد عدد سكانها الأصلاء على مليوني نسمة إن بلغوا هذا الرقم لأن بعض الناس يقول إنهم يقولون عنه قليلاً، ومررنا بعد ذلك بمدرسة الشهداء سميت بذلك على اسم الطلبة الذين تظاهروا ضد الرئيس الفارط الذي سمي نفسه الامبراطور بوكاسا فأمر بضرفهم بالنار ومات عدد منهم وسموهم بعده (لماريتر) يعني الشهداء بالفرنسية، ثم دخلنا إلى شارع هام جيد واسع إسمه (بوغندا بان بولينو) على اسم أحد زعماء البلاد ويقولون هنا إنه الذي جاء بالاستقلال والحرية أو المحرر من الحكم الفرنسي الذي يراد به الحكم المباشر وإلا فإن الفرنسيين الآن لهم وضع مميز في البلاد، وقال أحد الوطنيين بعد ذلك إن الزعيم (بوغندا) هو الذي حرر البلاد بالصراع الفكري مع الفرنسيين.

ودخلنا إلى فناء مكشوف يحيط ببناء متعدد الطوابق (عمارة) قال الأخ الكريم (دفع الله) إن هذا بيتي، إنه شقة في هذه العمارة واني وحيد فيه الآن لأن زوجتي ذهبت في زيارة لأهلها في السودان لذلك رأيت أن تقضوا هذه الليلة عندي.

مطعم ألبان جديد
استرحنا في بيت الأخ (دفع الله) قليلاً وشرينا شراباً أكلنا معه من الجبوب المضادة لحمى الملاريا المستوطنة في هذه المنطقة وقال الأخ

دفع الله إله مواطن على أكل ثلاث حبات مرة واحدة كل أسبوعين ثم ركبنا السيارة معه حيث أخذنا لنتعشى في مطعم لبناني في الحي الراقي من المدينة ولكننا وجدنا المطعم مزدحماً، وقال إنه يزدحم في كثير من الأحيان وفي هذه الليلة بالذات لديه حفلة خاصة.

فتركنا المطعم اللبناني والحي الراقي من المدينة خارجين من قلب البلدة إلى حي المسلمين بمعنى أن اغلب السكان فيه من المسلمين المغتربين الذين هم من تشاد والسنغال ومالي والكاميرون وقليل من السودانيين الشرقيين وقلنا الشرقيين تمييزاً لهم عن سكان السودان الغربي الذي كان يحمل التسمية التاريخية العريقة (السودان) وهو مالي والسنغال والنiger وشمال نيجيريا. وقال الأخ السوداني: إن في هذا الحي مطاعم سودانية شعبية وسوف أريك ما إذا كتم تستسيغون الأكل فيها: فقلت له: نعم وشكراً.

دخلنا مطعماً أثائه وبناؤه دون المتوسط وكذلك ثياب العاملين فيه ولكن أكثر الذين يأكلون فيه يتحدثون العربية بل إن الذين يدخلون ويخرجون منه يتكلمون بالعربية لأن أكثرهم من المهاجرين من تشاد واللغة العامة في تشاد التي يتفاهم بها الناس فيما بينهم هناك هي اللغة العربية كما هو معروف وإن كان ذلك مقتضياً على لهجة خاصة من العربية هي مزيج من اللهجة السودانية مع كلمات من اللهجة النجدية ووصلت إليهم عن طريق الأعراب الذين يسكنون في جنوب ليبيا مثل كلمة (بالحيل) بمعنى كثيراً أو جداً.

وجاء صاحب المطعم مرحاً بعد أن أخبره الأخ (دفع الله) بنا وهو سوداني شرقي أصيل لم تغير الغربة من سودانيته شيئاً واسمه (محمد

الكذك) وقد أخذ بغير الأواني والشوك ويقترح أكلاً معيناً فاتفقنا على أكل اللحم مع الارز وقال الأخ «دفع الله» إنه شبيه بالكبسة الموجودة لديكم في المملكة السعودية. وكان الطعام جيداً إلا أن نظافة ماحولك وانت تأكل ليست مما اعتدنا عليه بل هي دون ذلك وكان غريباً بالنسبة إلى أن أجد مطعماً كل من فيه يتكلمون العربية في هذه العاصمة التي كنت أعتبر أنها بعيدة عن بلادنا العربية وإن تكون قرية من بلاد أخرى للعربية في إفريقيا الفتية إلا أن الأغرب من ذلك هو اسم المطعم وهو (المطعم البان جديده) ولم افهم معناه أول الامر حتى أوضحه الأخ (دفع الله) فهو المطعم اللي — الذي — بان جيدياً — أي الذي ظهر حديثاً والمعنى العام للاسم هو (المطعم الحديث)؛ وهذه الجملة ربما تعطي مثلاً على اللهجة العربية الغريبة هنا.

ثم عدنا إلى بيت الأخ (دفع الله) الذي يقع كما قلت في شقة في بناء تملكه شركة (صندوق البن) وأجرته الشهرية مائة وثمانون ألف فرنك إفريقي غربي وهو على شارع بوغnda الذي هو الشارع الرئيسي في داخل المدينة بل هو أفضل شارع طولاً وسعة في داخلها وعليه تقع السفاراتان المغربية والمصرية. وبتنا في بيت الأخ السوداني (دفع الله) جزاه الله خيراً.

يوم الجمعة ٢٧/٤/١٩٨٥ هـ ١٨/١٤٠٥ م.

البحث عن فندق :

أح اخونا الاستاذ (دفع الله) على أن نصحبه إلى مكتبه في السفارة السودانية ليجري الاتصال بالفنادق بالهاتف بدلاً من المرور بها جميعاً لأنه عرف من اتصالاته أمس عدم وجود غرف خالية في الفنادق

الجيدة. ولكتني ألتحت عليه في أن نمر بأحد الفنادق أولاً فانطلقتنا مع شارع (بوغندا) الرئيسي قاصدين جهة شاطئ النهر الذي تقع عليه المدينة وهو نهر (أوبانقي).

الوجود العربي في بانغي :

مررنا بينائين (عمارتين) متقابلين على جنبي شارع (بوغندا) الرئيسي الهام قال الأخ (دفع الله): إن هذه وأشار إلى إحداهما لأحد الاخوة اليمانيين — والثانية لأنخ آخر من أهل اليمن. ويقعان بجانب السوق المركزي للمدينة.

ثم أشار بعد ذلك إلى بناية كبيرة وقال: هنا أيضاً يوجد مستشفى خاص راق جداً لأحد الاخوة اللبنانيين هو الدكتور (شعيب) وهو من أرقى المستشفيات في مدينة (بانغي) وأغلاها وهو مزود بالأجهزة الطبية الحديثة وفيه اطباء ممتازون .

فندق الصخرة :

وقفنا عند فندق كتب عليه اسمه (روك هوتيل) وليس فيه مما يعنيه هذا الأسم الذي قد يوحي بالصخرة العجراء إلا مقابلته لهضبة حضراء تحيط بها الخضراء الشاملة وتربع على قمتها قلعة فرنسية، وأسفل من ذلك في سفوح هذه التلة تقع السفاراة الفرنسية أهم السفارات الأجنبية في البلاد، وحيدة لا يشاركتها السكنى في هذه المنطقة الجميلة أحد، ولا يجاورها منزل آخر إلى مسافات محيطة بها بعيدة وإن هذا الفندق واقع في منطقة حضراء على ضفة نهر (أوبانقي) مباشرة. وجدنا في مكتب الاستقبال في الفندق فتى كلمه الأخ (دفع الله) بالعربية مع أن الأخ دفع الله يعرف الفرنسية والإنكليزية وقال لنا: هذا الشاب هو الأخ

أحمد يعرف العربية كان يعمل لبعض الوقت في السفارة السودانية وقال الفتى بالعربية بعد ان شاور واحداً معه في الاستقبال إنه لا توجد غرف الآن ولكن يمكن ان توجد في الساعة العاشرة ونجتهد في أن يكون ذلك قبل ذلك ولكنها مضمونة فأودعناه الأmente وودعنا الاخ دفع الله شاكرين.

و قضينا الوقت في حديقة الفندق تقع مباشرة في مكان مرتفع من ضفة نهر (أوبانقى) تليها ضفة النهر رملية نقية ليس فيها ما يكدرها إلا بقايا ما تباعه بائعات إفريقيات أظنهن من التكرونيات الالائى يتغذون في المهارة على نساء أهل هذه البلاد الاستوائية الأصيلات، بل ويتفوقن في تجاري حتى على رجال أهل هذه البلاد.



حدود زاير كما ترى من ضفة نهر أوبانقى في بانقى

على ضفة النهر

تناولنا الشاي في حديقة الفندق الظلية بأشجارها الباسقة وموائدها المرتبة وجوها المعتمل في هذا الصباح ونحن في الضفة الشمالية التي تقع عليها مدينة بانغي وتقابلنا حدود (زاير) التي كانت تسمى قبل ذلك كنقو كنشاسا وقبله كنقو ليوبولد فيل، وقبل ذلك كله كانت تعرف في زمن الاستعمار بالكنقو البلجيكي.

وموقع هذا الفندق من النهر الذي يمر بهذه المدينة ذكرني بموقع فندق مماثل فوق نهر مماثل هو الفندق الرئيسي في مدينة انجمينا عاصمة تشاد الذي يقع على نهر شارى في الضفة الشمالية منه تقابله في الضفة الجنوبية جمهورية الكاميرون غير أن الضفتين الجنوبيتين هنا وهناك مختلفتان فهي هنا ضفة زاير المضطربة وهي خضراء ذات تلال غير عالية ولكنها مجللة بالخضرة وهي هناك ضفة شمال الكاميرون المستقر وهي ذات أرض شبه مستوية ذات مظهر صحراوي جاف.

وكان المنظر شيئاً، وبجانبه مناظر صيادي الاسماك الوطنيين الذين يجذبون بقارب صغيرة مستطيلة كأنها القوارب القديمة التي تنحت من الاخشاب الكبيرة وتكون من خشبة واحدة وهي تشبه على بعد البط التي مدت أنفاسها، وفوقها هؤلاء الصيادون الإفريقيون الذين تخففوا من اللباس الا مايستر العورة المغلظة.



جانب من شاطئ نهر أوبانقي

والنهر ليس عريضاً هنا، وأظنه ليس بعميق أيضاً مع أنني رأيت عبارة تأتي من الضفة الجنوبية تحمل السيارات والناس ولكن ذلك لمدة قصيرة إذ هذه المنطقة من زاير بعيدة عن المدن الكبيرة وهي منطقة غابات، وقد ذكرني هذا المنظر أيضاً بمنظر مماثل أيضاً ولكنه قرب من عاصمة زاير ترى منه كنشاشا عاصمة زاير في الضفة الجنوبية من نهر آخر هو نهر الكنقو والمنظر من الفندق الرئيسي الواقع على الضفة الشمالية من نهر الكنقو نفسه في مدينة برازافيل عاصمة جمهورية الكنقو.

والفارق الواضح بين الموضعين في الصفتين هو تفاوت حجم النهرين (أوبانقي) هنا ونهر الكنقو هناك.

وعندما ذهبنا لاستطلاع أمر الغرف ووقفنا عند الباب الخارجي

للفندق كانت اعداد السائلين الملحقين (الشحاذين) يرددون جملأ لا توجه إلا لل المسلمين مثل (كرامة جمعه) و (جمعه في سبيل الله) وذلك أن اليوم هو يوم الجمعة ويعلمون بالتجربة أن المسلمين يتصدقون فيه لفضله وإن هؤلاء السائلين هم في أغلبهم من غير المسلمين .

سكننا في هذا الفندق في غرف تطل على النهر وتكان تلمس منها حدود زاير بعده ، والمهم أنه يقع بالحياة التي مصدر أكثرها هم صيادو السمك البسطاء من هذا النهر ومع أنه معتبر عندهم من الفنادق الراقية ولذلك أنزلوا فيه ضيوف الدولة الكبار ومنهم الوزير الموريتاني الذي قدم معنا الوزير السوداني الذي كان قد قدم قبل ذلك إضافة إلى وزراء أفارقة آخرين فإنه في معرفتي الواسعة بالفنادق لا يصل إلى درجة فنادق الدرجة الأولى فضلا عن الدرجة الفاخرة إلا في جمال موقعه، وترتيب حديقته ومع ذلك فإن القائمات على شئون الغرف فيه هن من الفرنسيات البيضاوات وأجرته رخيصة جداً اذا قيست بموقعه على هذا النهر وهي أربعة عشر الف فرنك افريقي غربي ويساوي ذلك حوالي تسعين ريالاً سعودياً . وفيه مافي فنادق الدرجة الأولى ماعدا ثلاثة في الغرفة والهاتف الذي يتصل آلياً بالخارج .

في الجامع الكبير

ذهبنا مع الأخ (صلاح البارودي) من السفارة السودانية بسيارته لاداء صلاة الجمعة في أحد المساجد الكبيرة الرئيسية هنا ويقع في منطقة سكنى المسلمين في العاصمة في حي اسمه حي (كيلو خمسة) أكثر سكانه من المسلمين من السودان الغربي والكاميريون ونيجيريا فرأينا في طريقنا غنما من الصناديك كبيرة الحجم كالتي رأيتها في نيجيريا والتي

تشبه الغنم السودانية الكبيرة التي تسمىها (السوakan) ومثل هذه الاغنام لا ت慈悲 على المناطق الاستوائية ذات الغابات الكثيفة التي تكون فيها حشرات وأدواء أخرى تحد من نمو الاغنام وإنما تكون في مناطق الرعي كمناطق الساحل التي يقصد بها ساحل الصحراء مما بلى الارضي الخصبة في الجنوب التي لا تبعد كثيراً عن المناطق الاستوائية .

وأخبرنا الأخ صلاح البارودي أنهم يستوردون هذه الأغنام من تشاد.
ومرنا في جانب من الشارع الرئيسي برحيل كل بضاعته قوارير مليئة
بزيت النخيل الأحمر الذي يستعمل إداما للطعام وهو جالس في
الشمس الضاحية ولا مشترين عنده. وغير بعيد منه رجل آخر بضاعته
خطب قد حمله على عربة يد.

دخلنا ساحة المسجد الخارجية الرئيسية من بوابة واسعة وأوقفنا سيارتنا بداخلها تحت ظل شجرة ظليلة من أشجار الظل النضرة، وقد استحق بفنائه الواسع المسور هذا أن يسمى بالجامع الكبير، دخلنا إلى المصلى الرئيسي وقد بدأ الإمام بالخطبة إذ كان المؤذن يؤذن ونحن ندخل من الباب الخارجي فوجدنا المكان مليئاً كله بالمصلين وليس فيه مكان لمصل واحد وبعض الناس قد فرشوا شيئاً يصلون عليه خارج المسجد المنسقوف ولم يكن معنا فراش ولا بنا صبر على اللبس في الشمس فكان أن دخلنا فأفسحوا لنا جزاهم الله خيراً.

ولم أر من بينهم شخصاً واحداً في مثل لوني بل لم أر بينهم من هو غير إفريقي. خطب الإمام خطبة عربية مسجوعة لاشك في أنها مستلة من أحد الكتب ومع ذلك خيل إلى أن القوم يفهمونها وقد سألت الإمام بعد الصلاة عن هذا الأمر فقال: إن أكثر المصلين لغتهم الأصلية هي

العربية فهم من تشار وشمال الكاميرون ويفهمون العربية والذين ليسوا من أولئك في الأصل قد عرفا العربية من إختلاطهم بالتشاديين والسودانيين هنا. ثم أعقبها بخطبة عربية قصيرة أيضاً معتادة ثم صلّى صلاة خفيفة أيضاً وكان فصيحاً جداً بالعربية لا لحن فيها ولا عجمة.

وبعد الصلة

وبعد انقضاء الصلة سلمنا على الامام واسمـه (موسى محمد تايب) أصلـه من شمال الكاميرون ومقـيم في هذه الـبلاد كما سـلم علينا نـائب الـامـام (بشير جـالـو) كما حـضر مـعـنا الحاج محمد سـيلا الذي يـعـتـنـى بـالـمـسـجـدـ وهو مـوـالـيـ وقد ذـكـرـنـى اسمـه بـسـمـيـ له عـاـمـلـ في سـبـيلـ الخـيـرـ والـدـعـوـةـ إـسـلـامـيـةـ مـحـسـنـ إـلـىـ الدـعـاـةـ وـهـوـ التـاجـرـ الشـرـيـ (محمد سـيلاـ) الـذـيـ يـعـيـشـ فـيـ مـدـيـنـةـ مـنـرـوـفـيـاـ عـاصـمـةـ لـيـبـرـيـاـ وـ(ـسـيلاـ)ـ هـمـ مـنـ السـرـاقـوـلـاـ الـذـينـ هـمـ مـنـ أـهـلـ السـوـدـانـ الغـرـبـيـ الـذـينـ كـانـواـ فـيـ الـقـدـيـمـ مـنـ أـسـسـواـ سـلـطـنـةـ مـالـيـ إـسـلـامـيـةـ ذاتـ الـأـمـجـادـ العـرـيـضـةـ.

وبحثنا مع هؤلاء الأحـوـةـ تـارـيـخـ هـذـاـ المـسـجـدـ فـقـالـوـ إـنـهـ المـسـجـدـ الـكـبـيرـ وـأـخـبـرـوـنـاـ أـنـ المـسـجـدـ جـدـدـ بـهـذـاـ الـبـنـاءـ الـحـالـيـ عـامـ 1966ـ وـهـوـ يـضـيقـ بـهـمـ الـآنـ كـمـ رـأـيـنـاـ ذـلـكـ إـلـاـ أـنـهـ لـاـ يـسـتـطـعـونـ الـعـلـمـ فـيـ توـسـعـتـهـ بـسـبـبـ ضـيـقـ ذـاتـ الـيـدـ فـأـخـبـرـتـهـمـ أـنـهـ يـمـكـنـهـمـ أـنـ يـجـمـعـواـ مـاـ تـيـسـرـ لـهـمـ جـمـعـهـ مـنـ الـمـالـ ثـمـ يـكـتـبـوـإـلـىـ رـابـطـةـ الـعـالـمـ إـسـلـامـيـ فـيـ مـكـةـ الـمـكـرـمـةـ وـنـحـنـ لـاـ نـدـخـرـ وـسـعـاـ فـيـ مـسـاعـدـتـهـمـ إـلـاـ أـنـاـ وـغـيـرـنـاـ مـنـ خـارـجـ هـذـهـ الـبـلـادـ يـصـعـبـ اـنـ نـبـدـأـ توـسـعـتـهـ اـبـتـدـاءـ،ـ ثـمـ عـقـدـنـاـ مـعـهـمـ إـجـتمـاعـاـ تـحـتـ ظـلـ شـجـرـةـ مـنـ اـشـجـارـ الـعـمـيـةـ (ـالـمـانـجـوـ)ـ ظـلـلـيـةـ وـلـاحـظـنـاـ وـجـودـ الـحـشـائـشـ الـتـيـ تـشـبـهـ اـعـشـابـ الـرـبـيعـ عـنـدـنـاـ بـعـدـ الـمـطـرـ الجـودـ وـهـيـ نـامـيـةـ

في فناء المسجد رغم كون الأقدام تطعوها. وذلك ان هذه البلاد لا تشکو من الجفاف.

واخبرونا أن الرئيس السابق (بوكاسا) كان قد منح المسلمين مساعدة للمسجد كما أن هذه الأرض الواسعة هي هدية من الحكومة المسلمين أيام الحكم الفرنسي وأن عدد الجوامع في (بانغي) ثمانية وهي المساجد التي تقام فيها الجمعة وأما المساجد الصغيرة التي أسموها الروايا فانها تبلغ عشرين، وبعضها زوايا حقيقة بمعنى أنها في الأصل كانت لبعض أهل الطرق الصوفية التي أكبرها هنا الطريقة التيجانية، ولكن صار اسم (زاوية) مصطلحاً على كل مسجد صغير لاتقام فيه الجمعة. وقالوا إن المسلمين يزيدون زيادة واضحة بسبب هجرة المسلمين ولاسيما من تшاد ويسبب إسلام بعض الوطنيين الأصلاء من أهل البلاد إلا أنهم ذكروا أنه لو كانت هناك دعوة منتظمة ذات وسائل متكاملة أهمها العناية بمن يسلمون وملحوظتهم بالإرشاد والتوجيه بعد إسلامهم مباشرة وكانت النتائج اعظم ولكن الدعاة يقومون بالعمل بصفة شخصية ومنفردة ومع ذلك فان النتيجة جيدة والله الحمد.

ومن الأمثلة التي تذكر في هذا الصدد أن شخصا يرتدي الملابس العربية الكاملة ما عدا العباءة وعلى راسه (غترة) وعقال انصم اليها وقدمه الحاضرون بأنه (محمد شريف حيدره) وكلمة حيدره في مالي تعنى شريف النسب وقالوا إنه يمضي وقته يتنقل للدعوة إلى الله في بلاد غرب إفريقية.

ثم تجولت في أبهاء المسجد فرأينا فيه مدرسة مبنية ببناء جيداً إلا انهم قالوا إن عدد الطلبة بها قليل جداً لعدم وجود مدرسین متفرغین، وإنما فالعدد سيكون كبيراً جداً للحاجة الماسة إلى ذلك. وقالوا: إن

ال المسلمين المهاجرين هنا مختلطون ما بين هوسا وفلاني (فلاطة عندنا) وماليين وتشاديين مما قد يضاعف من مشكلة التفاهم بينهم فيما عدا الذين يفهمون العربية منهم.

ورأيت شيئاً جيداً في أماكن الوضوء في المسجد وذلك أنهم وضعوا على أرضها حجارة ملساء مرتفعة نوعاً ما حتى تنزلق عنها المياه المستعملة ولا يصيب رجل المتوضئ منها شيء وكما قد عملنا في بعض المساجد عوضاً عن ذلك وهي شباك من الحديد ينفذ منه الماء ويوضع المتوضئ عليه رجله، ولكن عملهم هذا يتنااسب مع امكاناتهم المحدودة .

والتقطت صورة للمسجد الذي له مناراتان ملونتان بالوان خضراء وببيضاء وليس لها قبة، ولاشك في ان ذلك يعود إلى ضعف الإمكانيات المالية.

أصيل بانقي

اتفقنا مع بعض الذين قابلناهم من ائمة المساجد والمشتغلين بالتعليم الإسلامي هنا على ان يصحبوا إخوانهم ويكون الاجتماع بهم هذا المساء وذلك لوضع برنامج لزيارة المساجد والمدارس الإسلامية (الكتاتيب) في هذه المدينة.

ولذلك قضيت أصيل هذا اليوم في حديقة الفندق ذي الموقع الجميل على ضفة النهر فكت أكتب وأراقب الأهالي الذين هم من سكان خط الاستواء الأصلاء وأهم ما يلاحظه المرء على الذين يرافقون النهر أنه ليس على رجالهم من اللباس إلا سروال قصير يستر العورة المغلظة، وأجسامهم مفتولة ليس بها ترهل وبعضهم يذرعون الشاطئ

ينقلون الناس إلى أماكن أخرى داخل البلاد في قواربهم الصغيرة التي يجدهن بها في النهر. وأكثر الذين رأيتهم هنا يبدو من حالتهم أنهم لا عمل لهم لأنني لا أرى ما يشغلون به أوقاتهم وبعض المواطنين أراهم يأتون يقفون ويطللون من دون عمل إلا الحملقة في الشاطئ والحديث مع الآخرين ومثلهم طوائف من الصبية أيضاً شبه عراة يجلسون في شاطئ النهر الرملي أو يلعبون حوله.

ولاشك في أن حياة كثيرون منهم لم تبعد كثيراً عن الحياة القديمة التي كانوا يحيونها في الغابة حيث كانوا يأكلون من ثمار الأشجار أو ما يزرعونه من مزروعات بسيطة الكلفة، جيدة المحصول ومن دون أن يتتكلفوا لذلك شيئاً لأن المطر هو الذي يتکفل به مثل الكسافا والموز ولذلك لا يهمهم الوقت ولا يهمهم ماضع على أولادهم منه.

ولقد رأيت طائفة من نسوة السودان الغربي (التكرونيات) يحضرن إلى شاطئ النهر بالقرب من حديقة الفندق ومعهن طعام ملفوف بأوراق الموز ومربوط بحبال من أغصان الأشجار وهم يتخذون أوراق الموز بمثابة الأواني للطعام ونحوه، أو بمثابة ما استحدث من الأطباق الورقية السميكة التي يؤكل بها الطعام مرة واحدة ثم ترمى، ويمر بهن الصيادون من النهر فيشترون وياكلون، وهذا أمر جيد إلا أن غير الجيد في الأمر أن بعضهن يطبخن الشريبة على الشاطئ الرملي العجميل نفسه يوقدن تحتها بالحطب الذي يخلف الرماد فيوسخ الشاطئ ويفسد رونق أرضه.

ولكن المرء يعذرهم، ويقول: إن هذه هي المتعة العاجلة التي يجنونها من شاطئ نهرهم هذا لأن ما عليه من فندق ومقصف وحدائق مزهرة

مجملة إنما ينتفع بذلك غيرهم من أجانب لأن الأهالي لا يستطيعون
الاقتراب منه لغلائه.

ونساؤهم؟

وماذا عن نساء أهل هذه البلاد مادمنا تطرقنا إلى الحديث عن
رجالهم وصبيانهم؟

والجواب: إنهم الأفريقيات الأصيلات أو إن شئت قلت: إنهم
الاستوائيات العريقات في الإستوائية إن صح التعبير ولا تقل العريقات في
الاستواء الذي يعني الجمال فهن مثل الجابونيات وأهل جنوب
الكاميرون لم يرزقن حظاً كبيراً من الجمال، ولذلك يلاحظ المرء أن
أهل السودان الغربي أكثر وجاهة منهم واحسن قامات وأكثر انسجاماً
في تقاسيم الوجه ونساؤهم يتتفوقن في جمال المظاهر على هؤلاء
الاستوائيات بمراحل.

ومع ذلك لاحظت من الشيء الحسن عندهن أي نساء البلاد
الأصيلات التمسك بالزي الافريقي الذي تركته بعض الأفريقيات بعد
خروجهن من الغابة وتركهن الحياة فيها وهو الذي يعتمد على فوطة تلف
على اسفل الجسم فوقها صدرى أو شيء يشبه الفوطة ايضاً يستر أعلى
الجسم إلا ان صدرها واسع ر بما ليفسح المجال للهواء ليصافح البدن
والرأس مكشوفة.

ولسن في هذا الأمر كالكينيات أو الليبيريات اللائي يقلدن الغربيات
في ارتداء الزي الافرنجي وليس لهن زي وطني أو لا يرددن أن يكون لهن
ذلك.

أما رواد مقهأة الفندق فهم كساكنيه من اجناس مختلفة من إفريقيين فيهم طائفة من العرب من السودان وموريتانيا وفيهم طائفة من

السودان الغربي (مالي والسنغال) يعرفهم المرء من قاماتهم المديدة، وثيابهم المعتنى بها وبخاصة من جهة النقش بالخيوط التي تكون كثيرة، كما أنهم رجال مال وأعمال تجارية معروفوون بذلك بالنسبة إلى غيرهم من الأفارقة الذين يسكنون في الجنوب من بلادهم، وهناك الأوروبيون ما بين جماعات من السياح وقوم عاملين من الفرنسيين الذين لا تزال لهم كلمة عالية في هذه البلاد، بل باللغ بعضهم فقال إنهم يتمتعون هنا بامتيازات لا يتمتع بها غيرهم من الآجانب.

وأسعار المقهأة عندهم متوسطة فالشاي بثلاثمائة وخمسين فرنكاً إفريقياً غربياً ويساوي ذلك ثلاثة ريالات لا ربعاً تقريباً.

وفي المساء حضر إلينا بعض الاخوة من أئمة المساجد ومدرسي المدارس الإسلامية فبحثنا معهم بعض الأمور المتعلقة بالمدارس والكتاتيب الإسلامية.

وركينا بعد ذلك سيارة أجرة للبحث عن السمك في مطعم في وسط المدينة فوجدنا وسط المدينة جيداً ذا شوارع واسعة وأبنية غير عالية ولكنها جيدة وبعد ذلك انتظرنا في الشارع سيارة أجرة فجاء جندي وقال: أنا ابحث لكم عن السيارة وجاء ضابط وقال: لا توقفوا في الشارع قفوا عند المركز أكثر أمناً ثم اوقف سيارة أجرة ومدى يده فأعطينا الجندي لهما الف فرنك فشكراً ذلك.

وعجبنا من عدم الأمن للغرباء في الليل ومن انتظار رجال الأمن لشيء

يوضع في أيديهم مقابل قيامهم بخدمة صغيرة هي جزء من واجبهم . قالوا لنا عندما وصلنا أمس وكرروا القول بأن هذا الموسم هو موسم الجفاف في هذه البلاد وليس موسم الامطار ومع ذلك فانه قد تنزل فيه أمطار جيدة ، ولم نكن نرى سحاباً في هذا النهار ولكن في اثناء الليل لم أشعر إلا بصوت مزعج ينبع من النوم وعرفت انه المطر وهو شديد الواقع وخاصة على رواق في الفندق من الصفيح ثم استمر نزول المطر وتواصل حتى الصباح ولم تستطع تناول طعام الافطار في المقصيف الواقع على ضفة النهر بسبب ذلك فاكملنا في أماكن داخلية ضيقة .

يوم السبت ٢٨/٤/١٩٨٥ هـ ، ١٩/١/١٤٠٥

استمر نزول المطر حتى صبح اليوم فبرد الجو حتى شعرنا بالحاجة إلى المزيد من الثياب في هذه المنطقة الاستوائية وكان قبل ذلك لابد من إشعال مكيف الهواء في الغرفة ويرجع ذلك إلى ارتفاع نسبي في موقع هذه المدينة الاستوائية . ومن الأدلة البدهية على ذلك كون هذا النهر الذي يجري بجانبها يذهب إلى غرب القارة حيث المنطقة أكثر انخفاضاً .

في السفارة السودانية

عقدنا جلسة بحث وعمل في مكتب الأخ (دفع الله الحاج على عثمان) في السفارة السودانية وقد أحضر إضبارات تتعلق بشئون المسلمين وبخاصة الشئون الثقافية لانه المسئول عن ذلك في السفارة .

واخبرنا أن المسلمين هنا في حالة متدنية من الناحية الثقافية وذلك بسبب الضعف الشديد في امكاناتهم المالية .

وقد تضمنت الإلضارات طلبات عديدة قدمت من بعضهم إلى السفارة السودانية، وقال إننا اتصلنا بالسفارة السعودية في (ياوندي) عاصمة الكاميرون رجاء بذل المساعدة للمسلمين لأن إمكانات السودان محدودة في هذا المجال.

وقال أحب أن أخبركم في هذا الصدد بشيء سار جداً وهو أن حكومة هذه البلاد قد وافقت على إفتتاح مدرسة عربية سودانية في العاصمة وأن تتعاون مع السودان في استمرارها في العمل وهذا كما قال — امر تمس الحاجة إليه جداً في هذه البلاد وهو لازم لأولاد العاملين في السلك السياسي من العرب المقيمين هنا كما أنه لازم لأبناء السودانيين والشاديين المقيمين في هذه البلاد.

وعرض أن تبذل رابطة العالم الإسلامي جهودها المشكورة في هذا الصدد، فأخبرته بأننا مستعدون لبذل جهودنا ولا بأس بها من حيث الحجم والله الحمد فنحن — مثلاً — نستطيع المساعدة على ترميم المساجد والاسهام في دعم المدارس الإسلامية (الكتاتيب) بتخصيص مدرسين للغة العربية والدين الإسلامي سواء أكانوا من أهل البلاد أم من تعاقد معهم الرابطة من الخارج. كما أنه يمكننا إرسال كتب ومراجع علمية ومصاحف إلى جانب دعوة عدد من رجال العلم والعاملين في التدريس الإسلامي إلى المملكة العربية السعودية لزيارة الرابطة وتوثيق العلاقة بينهم وبين أخوتهم في العالم الإسلامي بوساطتها.

ثم حضر السفير السوداني الاستاذ (فاروق عيسى) وكان قد حضر البارحة للسلام علينا في بيت الاخ (دفع الله) ولكنه وجده قد نمت فأبدى اعتذاره عن الجلوس بسبب إنشغاله بمرافقته الوزير السوداني في

زيارة الرسمية لافريقيه الوسطى ودعانا لطعام العشاء في منزله هذه الليلة
قبلنا دعوه شاكرين.

ثم حضر القنصل السوداني الأخ (محمد علي عبد الرحمن) فشاركتنا
الجلوس والبحث ثم أعطانا سيارته لتبقى معنا في هذا النهار لزيارة
المساجد والكتاتيب.

وعندما خرجنا من مقر السفارة السودانية كان المطر لايزال يهطل
والشوارع موحلا إلا ما كان من الشوارع الرئيسية المزفلة والأهم من
ذلك أني لن استطيع التصوير في هذا الجو المظلم فصرفنا سيارة الاخ
القنصل بعد أن أوصلتنا إلى الفندق.

وقد استمر نزول المطر خفيما وبقيت السماء ملبدة بالغيوم فحرمتنا
حتى من الجلوس في مقصف النهر كما صرت أسميه.

وبعد الظهر وقف المطر وإنشرت الإفريقيات البائعات على ضفة
النهر فكان أعجب ما في منظرهن شعرهن القصير الذي يجعلنه على
 الهيئة قرون قصيرة واقفة إلى أعلى لأنها لا تتدلى لقصرها وهؤلاء هن من
السودانيات الغربيات سكان مالي والستغال وما حولها. واما الإفريقيات
الاستوائيات الأصيلات فإنه لا شعر في رؤوسهن مثل هذا وإنما هو
قصير كالقلفل الاسود لا يمكن لفه ولا ربطه فضلا عن تسريحه وبعض
الشابات هنا يجعلن رؤوسهن كالحقل المحروم بمعنى أنه يكون في
الرأس عدة خطوط خالية من الشعر بينها خطوط فيها شعر قصير.

عشاء السفير

وكانت الفائدة الكبيرة التي حصلنا عليها من هذا اليوم هي من
حديث أخيه السفير السوداني في بانفي (فاروق عيسى) الذي لبينا

دعوته للعشاء في بيته في السابعة والنصف من هذا المساء واستمتعنا بحديثه العميق وفهمه للشئون الافريقية بل الشئون الدولية لانه قد زار كثيراً من دول العالم ويتابع سياستها ويمتاز بالذكاء واللباقة.

وكانت المائدة عربية مختصرة ليس فيها من إفريقي إلا موائد الطعام واستمرت إلى قرب الحادية عشرة وكانت أهديته نسخة من كتابي عن سلطنة بروناي المطبوع بعنوان «زيارة لسلطنة بروناوي الاسلامية» فأخبرني أنه على شغله مع الوزير السوداني والوفد الذي معه قدقرأ أجزاء من الكتاب وأنه يهتم بقراءة أمثال هذا الكتاب الذي يوضح أحوال البلاد المسلمة الشقيقة.

يوم الاحد ٢٩/٤/١٤٠٥ هـ ٢٠/١/١٩٨٥ م

جولة في مدينة بانغي:

والجولة في هذه المدينة واسبابها لمثلي تعني الاطلاع على المدينة وعلى أحوال المساجد والكتاتيب التي تعلم مبادئ الدين الإسلامي.

وقد امتدت هذه الجولة طوال هذا اليوم وكانت بصحبة أخي كريم من أهل هذه البلاد بالولادة والوالدة وان كان والده مالي الأصل — نسبة إلى مالي — وهو يتحدث العربية بطلاقة لأنه من معلمي الدين الإسلامي وإمام في جامع التقوى واسمه الحاج (يوسف نيماقا) كما كان سائق سيارة الاجرة ايضاً أخي مسلماً يعرف العربية وإن كان مولوداً في هذه البلاد وهو (سالم حسين) تشادي الأصل، ولكن ذلك وحده لن يجعله يبقى على اجاده العربية، وإنما كان ذلك لكونه يخالط أهل تشاد وأهل شمال الكاميرون المسلمين إضافة إلى السودانيين الموجودين هنا واللغة الوحيدة التي يتفاهمون بها فيما بينهم هي العربية.

لحم القرود :

كانت الوقفة الأولى في السوق المركزي للمدينة، وكان مالفت نظري أكثر هو كثرة لحم القرود المعروض للبيع وهو معد للأكل. ومن أربع الأشياء التي رأيتها قروداً ميتة قد شووها كاملة ورؤسها باقية ورقبتها تشهد على أنها ميتة لم تذبح ليزيد ذلك في قبحها والتنفير منها فكأنها بذلك يصدق عليها قول حماد عجرد في بشار بن يرد الشاعر:

ويأب——ح من قرد اذا ما غمي القرد
وكانها يصح أن يحرف البيت فيها فيصبح:

فياك——ره من قرد اذا ماشوي القرد!

وقد التقطرت صوراً لهذه القرود المشوية أو هي هكذا كما بدت لي من صلابة قوامها وسود لونها إلا إذا كانوا قد أيسوها وملحوها بمعنى جعلوها تشبه القديد اليابس ليسهل نقلها وبقاها كما يفعل بالسمك اليابس أو المقدد ومع ذلك فإن البائع طلب حلوانا (بقطيشاً) من أجل الصور فأعطاه السفير الذكورى مائة فرنك إفريقي غربى أى أقل من ريال سعودي قليلاً فرضى بذلك وقلت في نفسي: ما أرخص الصورة فالتقطرت له مع قروده الميتة صورة غير ميتة أو حية كما يقولون في بعض الصور فطالب بحلوان آخر فكان له ما أراد من حلوان زهيد آخر و (لحية يرضيها مد الشعير وش يزعليها؟)



القرود معرضة للبيع في سوق بانغي

ولحم الفيل

ورأيت قطعاً ضخمة من الهبر وهو اللحم الخالص ليس فيه شحم ولا عصب ولكنها لا تشبه ما عرفته من اللحوم وهي على البعد بلحם البعير أشبه فسألت عنها فقال الバائعون: إنها من لحم الفيل ! ولحم الفيل ليس كلحm القرد بطبيعة الحال الذي هو مستقدر مستحبث وهو مسخ كما يعبر عنه علماء المسلمين الأوائل يساوونه في هذا الأمر بالخنزير كما ساوته الآية الكريمة في التمثيل به لقوم من بنى إسرائيل: «وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقَرْدَةَ وَالخَنَزِيرَ وَعَبْدَ الطَّاغُوتِ» وإن كان لحم القرد ليس هو في الحرجة كلحm الخنزير بل قال بعضهم: إنه مكره كراهة تنزيه فلحm الفيل يمكن أن يقال بحله لأنه ليس مفترساً وإن كان يدخل تحت عموم الحديث في تحريم أكل كل ذي ناب من السباع وكل ذي

مخلب من الطير فهو من السباع وهو ذو ناب كبير ظاهر، بل هو أكبر ناب لاي سبع معروف غير أن المراد بالناب في الحديث هذا الناب الذي يفترس به صاحبه الحيوان والمخلوقات الصغيرة وهذا هو مفهوم السبع المفترس ايضاً، والا فإنه ليس المراد بكل ذى ناب مجرد وجود الناب لأن الناب موجود في الحيوان الذي هو حلال الأكل، مثل الجمل والثور ولكنها لا تفترس به.

إلا أن الغرابة في لحم الفيل هنا أنه يميل إلى السواد وهو صلب في منظره وملمسه وأظنه لذلك يستعصي على النضج الكامل وما شبهت منظر هذه القطع الدهماء أي (البنية) من لحمه إلا بقطع الأحشاس الحمر الصلبة.

وهناك طائفة من الوحش وسباع الغابة بعضها لا نعرفه وهي معروضة للبيع من أجل أكل لحمها غير مذبوحة بل رؤسها متصلة برقبتها من دون اي شيء يدل على ذبحها ولا ادرى بم قتلوها بذلك كان بالحالة؟ أم بالرصاص؟ ولكن كان منها غزال صغير مشوى يباع كاملاً ويدون ذبح مثل غيره ولقد ذكرني هذا بواقعة ذكرها لي صديقنا الاخ

(بكري جاوارا) وهو وجيه من بلاد مالي مقيم في مدينة (ليبرفيل) عاصمة الجابون وهي انه رأى مرة في المجزرة غزالاً جيد المظهر معلقاً معروضاً للبيع فجعل يتأمله استحساناً لمنظره، فسألـه البائع عما اذا كان يريد شراءه لأن لحمه طيب فقال الأخ بكري: لو كان مذبوحاً لاشترته! فاجابـه البائع: ليس هذا مشكلاً سندبحـه لك الآن وكان الغزال قد مات يوم أمس!

وقد لاحظت هنا أن معظم الباعة في هذا السوق هم من الرجال بخلاف الأسواق الشعبية الأخرى التي تكون الباعة فيها في العادة من النساء وتلك هي طبيعة أهل السودان الغربي على وجه الخصوص وعادة الأفارقة على وجه العموم.

غير أن الأمر هنا يختلف إذ معظم البيع والشراء في البضائع الصغيرة هي من نصيب الأخوة المسلمين من أهل السودان الغربي — ماعدا الأشياء المحرمة مثل لحم الخنزير أو المستقدمة مثل لحم القرد.

وقد رأيت باعة لحوم البقر والغنم والدجاج في هذا السوق المركزي معظمهم من أهل تشاد أو الكاميرون ويتكلمون العربية كلهم من ذلك أني عندما وقفت أمام لحم بقرى جيد أتأمله وأسأل عن سعره بادر صاحبه وقال بالعربية: هو كويس وسألت عن ذبحه فقال: وانضم إليه آخرون: إن الذبح هنا كله حلال لأنه لا يذبح المواشي المعروفة غير المسلمين .

وأحاط بنا هؤلاء الأخوة عندما سألوا مراقبى عنى ولم أكن أرتدي اللباس العربى ومظهرى بذلك كما يقولون يشبه مظهر الأوروبيين لأنهم لا يلاحظون الفروق ما بيننا وبينهم وإنما يلفت منظرهم بياض اللون أو سواده فلما أخبروهم بأننى مسلم جعل بعضهم يخبر بعضاً واتفقوا حولنا يتحدثون.

وبذلك تبين لي ما عرفته سابقاً من أن أهل تشاد لم يقتصروا في نشر العربية على بلادهم، وإنما حملوها معهم إلى مهاجرهم التي ليس فيها لغة شعبية جامعة مثل هذه البلاد إضافة إلى رقي العربية وكونها أيضاً لغة مفهومة سائدة في شمال الكاميرون وفي السودان الشرقي الشقيق.

بلاد إستوائية

يستطيع من يكون قد رأى أنحاء العالم مثلي أن يحكم على موقع البلاد التي يزورها إذا كان لا يعرف موقعها قبل ذلك من الفواكه والخضروات المعروضة في أسواقها الشعبية أى غير المستوردة، وذلك لأن كل منطقة جغرافية في العالم تتميز بوفرة فاكهة أو حضرة تنبت فيها ولا تكثر في غيرها إلا إذا كانت هناك ظروف محلية تؤثر في ذلك الموقع مثل الارتفاع الشديد عن سطح البحر كما هو الحال في أكثر عواصم أمريكا الجنوبية الواقعة ضمن الدائرة الاستوائية مثل (كيتو) عاصمة الإكوادور وبوغوتا عاصمة كولومبيا فهي وإن كانت استوائية الموقع فإنها باردة الطقس، تكاد تعدل في ذلك بعض البلدان المعتدلة لارتفاعها الشديد.



أكوان الموز في سوق بانفي
وأماراتان خلاسيتان تشتريان من السوق

وفي سوق هذه العاصمة الاستوائية (بانقى) رأينا الفواكه الاستوائية الشهيرة مثل الباباى والأناناس والموز الأصفر الكبير والموز الأخضر الكبير الذى يستعمل للطبخ فيقوم لأهله المعتادين عليه مقام الأرز عند أهل شرق آسيا ومقام القمح عندنا مثلاً. بل رأينا الموز عندهم أكواماً مكونة وأنواعاً منوعة وهو أكثر المعروضات في هذا السوق. وعندهم برتقال محلى أو إن صبح التعبير فهو برتقال استوائي فهو يخالف البرتقال المعروف عندنا في أهم الأشياء وهو المنظر فهو عندنا أصفر مائل للحمرة (برتقالي) وعندهم أخضر وهو صلب القشر، صعب التقشير لذلك تبيعه النساء في الغالب مقسراً ليسهل على مشتريه أكله.

وشيء مهم استوائى آخر وهو زيت التحيل أي نخيل الزيت الذي يقوم مقام زيت الزيتون في البلدان المعتدلة الجبلية بل مقام السمن في بلادنا فهو يستعمل إما للطعام أو لأغراض أخرى مشابهة لما يستعمل له السمن.

وقد رأيتم في عدة بلدان يضعونه في قوارير يبيعونه وهو نوعان أصفر قليلاً وأحمر وقد سألت أحد الجزائريين المسلمين عن قيمة الكيلو الواحد من لحم البقر فقال إنه ألف فرنك بدون عظم، وثمانمائة فرنك بعظامه، والريال السعودي يساوى مائة وثلاثين فرنكاً من فرنكاتهم التي هي العملة السائدة في أقطار إفريقيا الغربية التي كانت مستعمرات فرنسية.

وكان الأخ الذي كلمنا في السوق اسمه (محمد زوقولو) يتكلم العربية لأن أمه من تشاد ومولود في إفريقيا الوسطى، وتتكلم بكلمة لفتت انتباхи وهو قوله في شيء سأله عنه واظنه البصل: (ماواجد) فسألته عن

معنى واجد هذه التي تكلم بها! فأجاب إنه كثير أى ذلك الشيء وأظنه — كما قلت البصل المكور الذي نعرفه في بلادنا يريد أنه ليس كثيرا هنا.

وهذه الكلمة من عدة كلمات تميز لهجة تشاد العربية وإمتدادها عبر نهر شارى إلى شمال الكاميرون إذ لاحظت أن فيها كلمات وتعابيرات غير شهيرة في الاستعمال إلا في العامية النجدية مثل جملة (بالحيل) بمعنى بقوة أو بكثرة. فهذه الكلمات يخيل إلى أنها قفزت من قلب الجزيرة العربية إلى تشاد وما حولها من دون ان تمر بما كان في طريقها كالسودان أو جنوب مصر.

ولاشك في أن سبب ذلك هو وجود قبائل عربية نجدية مهاجرة في أزمنة مختلفة كانت تحمل لهجتها هاجرت معها اللهجة دون ان تستقر بمكان بالطريق أو أنها كانت معروفة في البلدان التي مرت بها ولكنها نسيت واستبدلت بغيرها على مدى القرون نتيجة لهجرة أقوام عربية أخرى لا تستعملها.

أما البصل الذي جلب لي هذه الفائدة وهي سماع كلمة (واجد) بمعنى كثير فإنهم ذكروا أيضاً أنه مستورد من تشاد فهو اذاً كاللغة العربية التي غزت هذه البلاد الأفريقية وانتصرت في غزوتها.

وتركتنا داخل السوق المركزي لإلقاء نظرة على خارجه فرأيت طائفة من الإنحواة من المهاجرين الجدد من أهل تشاد والمرء يعرفهم على البعد من ملابسهم بل قمصهم — جمع قميص — لأنهم لا يرتدون غيرها ويضعون الطوافي — جمع طافية فوق الرؤوس. وهذه القمص هي

القمص العربية بل السعودية التي نستعملها في المملكة من دون تغيير. وهؤلاء الإخوة ليس لهم عمل وهم صف غير طويل استندوا إلى حائط السوق يبيعون الأكياس الخالية من الخيش والقطن وغيرها. وكلهم يعرف العربية.

وفي خارج السوق أيضاً رأيت ماعزاً صغيراً جداً أسود اللون تحسبه بهماً وهو صغار الغنم والماعز فإذا تأملته رأيته بالغاً وخبرونا أن هذه هي الماعز الأصلية في هذه البلاد الاستوائية تكون صغيرة الأجسام قصيرة الأرجل وأنهم أخذوا يستوردون الماعز الكبير من تشاد ونيجيريا وشمال الكاميرون فضلاً عن غرب السودان.



خارج سوق بانغي

وعن قصر أرجل هذه الماعز وصغرها جاء الخيال يقول: إنها وقد نشأت في هذه البلاد الاستوائية ذات الامطار الغزيرة والاعشاب الكثيرة

لاتحتاج إلى ان تكون ذوات أرجل طويلة ولا ظهور عالية لكي تتناول بها أغصان الشجر وتسلق الاشجار القصيرة بخلاف ما عليه الحال في البلدان الصحراوية وبلاط ما يسمى بالساحل الذي يراد به ساحل الصحراء جهة الجنوب إن كانت تصح تسميتها في العربية بالساحل. وذكروا ان سعر الواحدة من هذا الماعز الصغير يبلغ ثمانية آلاف فرنك أي حوالي ستين ريالاً سعودياً على وجه التقرير.

كله من عمل بووكاسا:

تركنا هذا السوق المركب وما فيه من قرود وحشود من الناس مختربين الحى الراقي من مدينة (بانقى) الذي يقع السوق في جانب منه فرأيته واسع الشوارع جيد الابنية، وإن تكون الابنية الكثيرة الطوابق (العمارات) غير موجودة فيه أو نادرة جداً. ولما ابديت إعجابي بذلك قال لي المرافقون كما قال لي غيرهم قبل ذلك: هذا كله من عمل بووكاسا وإن عامة الناس لايزالون يحبونه، وإنه كان إذا رأى شيئاً في الخارج فأعجبه أمر بأن يجعل مثله في بلاده.

وسألتهم كما سألت قبل ذلك غيرهم عنه وهو مانسب إلى (بووكاسا) من أكل لحوم البشر فقالوا إن الثابت أنهم وجدوا بجانب الثلاجة في منزل خاص له رجلاً ميتاً مثليجاً فقالوا: إنه كان قد أعده للأكل وأنه كان يأكل لحوم البشر.

قالوا ولكن كثيراً من الناس هنا لا يستغربون ذلك فيما لو ثبت عنه إذ المعروف أن هناك قبيلة في هذه البلاد اشتهرت بأكل لحوم البشر حتى الآن وهي قبيلة (مباكا) ولكنهم يخفون هذا الأمر عن الآخرين خوفاً من عقاب الحكومة.

مسجد التقوى



لافتة مسجد التقوى بين الشيخ نيماقا (إلى اليمين)
والشيخ عبدالوهاب الذكوري (إلى اليسار)

وصلنا إلى مسجد التقوى الذي يوم فيه أخونا الشيخ (يوسف نيماقا) وكان الأخ (دفع الله) السوداني أخبرني أن المسجد يصلى فيه أناس كثير يستمعون إلى شرح الشيخ (يوسف) ووعظه باللغة المحلية وهي (السانقو) لأن أكثر الأئمة غيره إنما يخطبون أو يعظون بالعربية.

لم يكن المسجد كبيراً ولا فاخر البناء وإنما كان حسن الفراش قال لي الشيخ يوسف: إن فراش هذا المسجد الجيد هو تبرع أخ مسلم بمفرده هو الحاج (محمد المصطفى) أصله من نيجيريا ومقيم في هذه البلاد وهو برونو من برونو في شمال شرق نيجيريا. أما المسجد فإنه حديث البناء إذ لم تمض على بنائه إلا ثلاثة سنوات ونصف وبنى بتبرعات محلية من المسلمين في هذه البلاد.

قلت له: هذا عن بنائه فماذا عن المصاريف المتتجدة للمسجد مثل الكهرباء والماء فاجاب: اذا كانت صلاة الجمعة طلبنا من الناس أن يسهم كل منهم بما يستطيع لهذا الغرض فجمعنا ما يكفي.

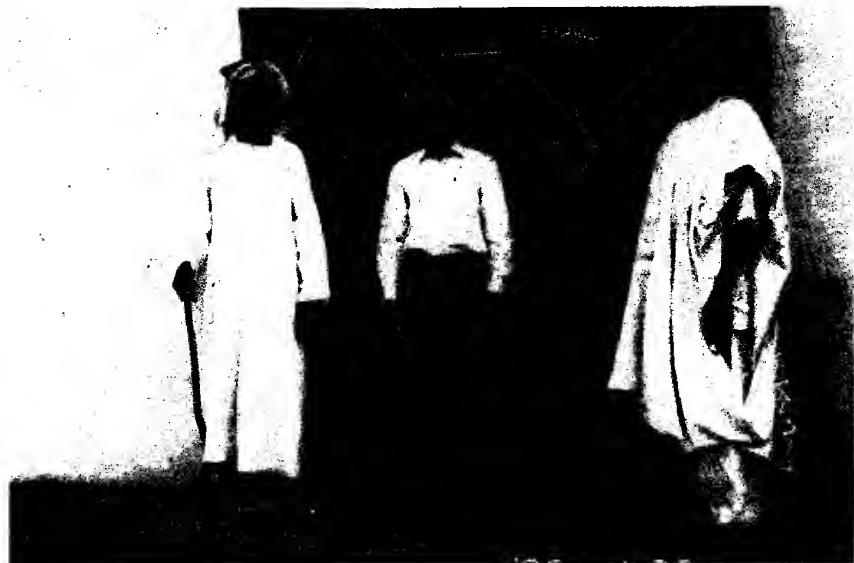
ورأيت أحد الأحوة الكرام في المسجد عرفوه لنا بأنه (الشريف عثمان) ومعنى هذا أنه شريف النسب بمعنى أنه من ذرية الحسن أو الحسين رضي الله عنهمما غير أنه أسود اللون بل فاحم السواد لأن السواد في هذه البلاد هو المعتاد وهو يتكلم العربية بطلاقة فلما سأله عن المكان الذي تعلم فيه قال: إنه في (تبكتو) في مالي، وإن أصله من أهل السوق.



قرب مسجد التقوى مع بعض المسلمين

وأهل السوق في مالي مشهورون بأن فيهم من العلماء الفضلاء عدداً كبيراً وبأنهم يحرصون على اقتناء الكتب العربية يتداولونها ويشترونها بما غلا ورخص ويعتنون بها حيث يرحلون وينزلون طلباً للكتاب لأنهم في الأزمان المتأخرة غلت عليهم طبيعة البداوة إن لم تكن هي طبيعتهم الأصلية في القديم وهم مع ذلك ليست لغتهم العربية هي اللغة الأصلية بل لهم لغة أخرى هي لغة الطوارق الذين هم طائفة من البربر الشرقيين أو هي قرية من لغة الطوارق.

كما قدم إلى الشيخ يوسف والده وعمره سبع وثمانون سنة ولكنه لايزال قوي البدن جيد الصحة. ثم جاء المؤذن الأخ (محمد جارا) أصله من (سيقو) في مالي ومولود هنا، و(سيقو) في مالي منطقة شهدت مملكة بل إمارات إسلامية ذات أمجاد أضافتها إلى أمجاد بلاد (مالي) الكثيرة.



وحضر أيضاً الأخ (محمد شرف الدين) من تشاد ويعمل بالتجارة هنا وهو مثل سائر أهل تشاد في هذه البلاد يعرف العربية جيداً.

ولم يقف الأمر بالتعريف على الرجال إنما أضاف الأخ يوسف إلى ذلك تقديم والدته وهي سيدة جليلة من تشاد اسمها (حواء بشير) كلمتنا بعربية واضحة.

في غمرة الحديث عن هذه النماذج المسلمة التي قابلناها في المسجد كدنا ننسى أن نتحدث عن المسجد نفسه فهو مبني بلبن الإسمنت ومسقف بالصالح وله منارة صغيرة لم يراع في بنائها الفن والذوق وإنما اقتصرت بسبب قصور النفقه على مجرد بنائهما صغيرة قصيرة على هيئة منارة وهم معذورون في ذلك ومشكرون على بذل الجهد الذي استطاعوه ومن أعطى كل ما يستطيعه فقد بلغ الغاية في الجود.

وهو واقع في حي شعبي ولكنه أحسن حالاً من باقي الأحياء الشعبية في كثير من البلدان الإفريقية الإستوائية وان كان اسمه منسجماً مع الأسماء الإفريقية المذكورة فهو (لكوانقا).

وأكثر بيوت هذا الحي من طابق واحد مبنية من لبن الاسمنت ومسقطة بالصفائح على شكل سنام البعير من أجل ان تنزلق عنها مياه الأمطار الكثيرة في هذه البلاد وليس في شوارعه إزفلت وإنما هي معبدة مرصوفة. وهو قريب بل هو ملاصق لشارع (بوغوندا) أفال الشوارع في هذه العاصمة.

وعندما تركناه ودخلنا في شارع (بوغندا) رأيت جمهوراً غفيراً من الشبان والشابات والشرطة يبعدونهم عن قلب الشارع لتسهيل المرور فأخبرونا أنهم جاءوا لمشاهدة سباق الدراجات.

ورأيت في هذا الشارع ما رأيته على ضفة النهر من وجود باعة متجلولين يبيعون الخبز الطويل من القمح فهو يصنع هنا بكثرة ولاشك أن ذلك بسبب تأثير الإخوة الذين وفدوا إلى هذه البلاد من تشاد والسودان وشمال الكاميرون وإلا فإن الإفريقيين تحت خط الإستواء قد اعتادوا على وجبات غير الخبز في طعامهم مثل الكسافا واليام والدخن ونحوها وإن كانت هذه الثلاثة وبخاصة الكسافا هي الغذاء الأكثر إنتشاراً عند السكان الأصليين في هذه البلاد.

سرنا مع شارع بوغندا الفاخر فاعتراض ضابط شرطة ومعه جندي وقف بسيارته سيارة الاجرة التي نستقلها وطلب من السائق أوراقه فأخرج من السيارة مجموعة كبيرة من الأوراق أخذ يري الضابط منها واحدة بعد أخرى وأخرها كانت ورقة الضمان الصحي.

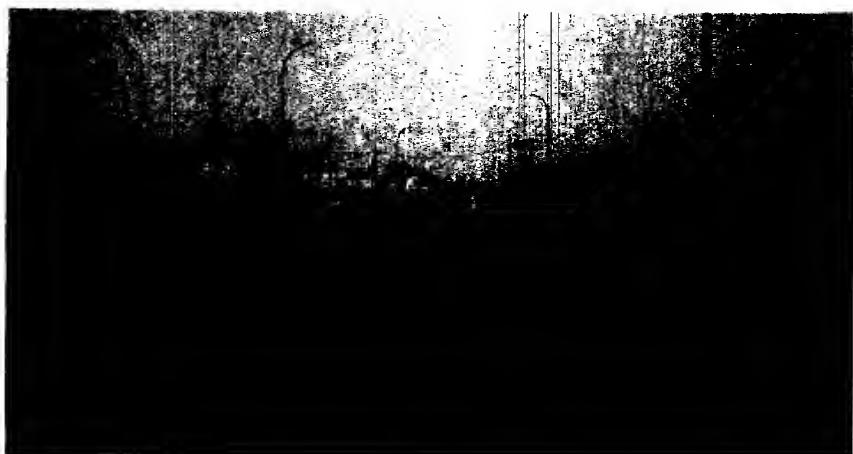
ثم أذن له بالسير ولما سألت السائق الأخ (سالم حسين) عن السبب في إيقافه قال بالحرف الواحد (يدور قروش) وكلمة قروش بمعنى النقود عامة هي المستعملة هنا في اللهجة التشادية مثلما هي عندنا في المملكة.

وأما معنى الكلام فإن الضابط يبحث عن شخص لا يحمل كل الأوراق المطلوبة حتى يأخذ منه نقوداً مقابل إطلاق سراح سيارته.

في حي المسلمين

ويسمى (حي كيلو خمسة) لأنه يبعد عن قلب المدينة مسافة خمسة كيلومترات وهي كلها مساحة معمورة متصلة وهو حي للMuslimين بمعنى أن أكثريه السكان فيه هم من المسلمين الذين هم من السودان الغربي مالي والسنغال وتشاد وشمال الكاميرون ومن السودان الشرقي أيضاً وهو الذي يقع فيه مطعم (البان جديد) الذى أكلنا فيه من قبل ويمثله أخ سوداني شرقى كما تقدم.

سلكنا الشارع الرئيسي فيه ويسمى (كولونقو) ورغم كون هذه الكلمة ذات جرس إفريقي استوائي فإن اللغة المستعملة في هذا الحي أكثر من غيرها هي العربية والشارع غير مزفلت ولكنه مرصوص أو معبأ وتقع على جانبيه مجاري المياه الخبيثة المستعملة وإن كانت الامطار الغزيرة تساعده على طردتها وإبعادها من الحي لأنها تجرف معها هذه المياه القدرة.



والبيوت في الحي معظمها أو كثير منها مبني من الطين لأن الذين بنوها قدموا من بلاد تستعمل الطين في البناء مثل السودان الغربي وهو ما كنا نستعمله في بلادنا في القديم قبل الأزدهار الاقتصادي الحاضر وإن كان الطين عندنا في قلب المملكة أفتر من طينهم وأقوى على مصايرة الزمن بسبب الجو الصحراوي الجاف في بلادنا غير انهم هنا في هذه البلاد المطيرة يعالجون تأثير المطر الغزير على الطين بمنع وصوله إليه فيسقون بيوتهم غالباً وهي صغيرة في الغالب بسقف من الصفيح تكون لها أردان أو حفارات عريضة تكون بمثابة المظلة الواقية من المطر فلا يصل إلى الجدران.

مسجد النور

عطفنا من الشارع العام في هذا الحي إلى شارع متفرع منه وهو واسع كالشارع العام والمسعة هي الصفة الوحيدة من صفات الشوارع الجيدة فيما ووقفنا عند مسجد صغير المساحة ولكن شد انتباхи شيء رأيته فيه فاعجبني وأبهجني الا وهو منظر شيخ وقرر عليه حلقة من الرجال ولا أقول التلاميذ لعلماً يظن أنهم صغار في السن فبعضهم قد وخطه الشيب وأحدهم يتلو عليه القرآن الكريم بتلاوة متجدة جيدة فهم يتعلمون تجويد التلاوة بالقراءات المنسوبة لمجرد معرفة التلاوة.

وسمعتهم يقرأون بقراءة (قالون) وقراءة ورش السائرة في المغرب المسلم كله.

والشيخ نظيف الثياب بهي الطلعة إسمه (ميكايل الحسن العبيب) أصله من تشاد ولكنه كان عندما دخلنا عليه جالساً الجلسة التي كنا قد عرفناها من بعض إخواننا الموريتانيين المقيمين عندنا وهي الجلوس

غير المنتظم وإنما بإمالة الجسم إلى الأرض من الامام على هيئة من يهم بالسجود ولكنه لم يكمل وصوله إلى الأرض بعد.



المؤلف في حلقة الدرس في مسجد النور مع الإخوة

وذلك جلسة يقصد بها إراحة الجسم من وضع الجلوس المنتصب لمدة طويلة ولكنه عندما رأينا إعتدل في جلسته ولم نتكلم بل لم نسلم حتى فرغ القارئ من قراءته فسلمنا عليه وعلى تلامذته وعندما عرفوا أنني من رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة فرحوا بذلك.

وحدثوني عن هذا المسجد أن اسمه مسجد النور وأنه بني في عام ١٩٨١ م بناء الحاج (أحمد داود وداعه) من تشاد.

وعلى هذا يكون هذا المسجد كمسجد التقوى المذكور قبله كلاهما حديث البناء وهو ما يعطي إشارة إلى سرعة انتشار الإسلام وحداثة بناء المساجد في هذه العاصمة ما عدا مسجداً أو مساجدين فهما قديمان.

وهو لاء الاخوة الذين معنا في المسجد كلهم يتكلم العربية ويرتدى الملابس العربية وكأننا من ذلك في بلد عربي بالإضافة إلى أنهم من طلبة العلم الذين يسهل على مثلثي الحديث معهم في الشؤون الإسلامية ويقع المسجد في حي يسمى (كيتا) على إسم الرجل الذي ابتدأ عمارةه ويدركني هذا باسم الرئيس المالي السابق (مودبيو كيتا) مع التساؤل عما اذا كان (كيتا) هذا من مالي أو له علاقة بها.

والمسجد مبني بين الاسمنت ومسقف بالصفيح والإنفاق عليه مشترك بين المسلمين هنا وقالوا: إنهم لم يتلقوا أية مساعدة على ذلك من الخارج.

أجلت بصرى في المسجد فوجدت في رفوف خشبية فيه طائفة من المصاحف قالوا: إنها جاءتهم من المملكة العربية السعودية وعند مدخل المسجد أداة خشبية على هيئة صندوق صغير ذى قوائم اثنين على هيئة حامل المصحف قد وضعوها للاحذية.

ثم جاء الامام وإسمه (العاز أصيل) ولم أفهم معنى اسمه أول الأمر حتى فسره لي بأنه من العزة. وهذه يستعمل منها المعز والمعتر واما العاز بهذا المعنى فلم أسمع به من قبل. وهو من إخواننا الكرام أهل (تشاد) وبالذات من أهل (فاما) هناك أخبرنا القوم أنه لا يتضاد شيئاً مقابل إمامته للمسجد وإنما هو يتبرع بذلك محتسباً الأجر من الله تعالى. وذكروا أن المسجد رغم حداثة بنائه فإنه يمتلىء بالمصلين، بل يضيق بهم وفي صلاة الجمعة يصلون في الشارع وذكروا أنه يوجد بجانب المسجد بيت يمكنهم شراؤه بسهولة لأن صاحبه يريد بيعه ولكنهم لا يستطيعون ذلك لضيق ذات اليد.

وليس في المسجد منارة أصلًاً مما جعل مظهره لا يتميز عن مظاهر البيوت المجاورة التي هي كلها مسقفة بالصالح على شكل السنام إلا أن بعضها مبني بلبن الاسمنت وبعضها مبني من الطين.

مدرسة مسجد النور



مع تلميذ المدرسة الإسلامية

ومع هذا المظهر المتواضع للمسجد أو الموضوع هكذا بدون أن يكون هناك تواضع من أحد رأيت بجانبه مدرسة أكثر تواضعاً من المسجد بطبيعة الحال ماعدا لافتتها الجميلة والمعنى الأجمل من إنشاء هذه المدرسة التي هي في الحقيقة كتاب، بتشديد التاء.

أول ما رأينا من المدرسة لافتتها التي كتب فيها بالعربية (مدرسة مسجد النور ترحب بالآباء!)، وعندما دخلنا إستقبلنا الطلاب بعد أن نهضوا واقفين وهم باقون على مقاعدتهم بالسلام وإنشاد نشيد:

طلع البدر علينا من ثيات الوداع

مع أن الزيارة لم تكن مقررة ولم يعرفوا أن أحداً سيزورهم لكنهم كانوا قد حفظوا ذلك في السابق لمثل هذه المناسبات.

ورأيت في داخلها لافتة أيضاً بالعربية مكتوبًا في اعلاها البسمة (بسم الله الرحمن الرحيم) وتحتها هذا البيت:

العلم يرفع بيتاً لاعماد له والجهل يهدم بيت العز والشرف

مع أن بعض العلماء القدماء من المدققين المتحذلقين لا يجيزون أن تكتب البسمة أمام الشعر على اعتبار أنها آية قرآنية يخشى أن يتبعس أمرها على من يراها فيظنها من الشعر أو تكريماً لها عن ان تخلط بالشعر. وكلا التعليلين غير سليم

وال مهم هنا أن أذكر أنني شعرت بحزن عظيم بل بحياة مزعج من الله تعالى ومن هؤلاء الأخوة المسلمين لأن المدرسة مبنية من الطين بشكل رث بل مزر وإن كان ذلك ليس بالنسبة إليهم لأن هذه هي طاقتهم وإستطاعتهم، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها وإنما هو لنا نحن إخوانهم القادرين في البلدان الإسلامية.

والمدرسة غرفتان صغيرتان إحداهما في باطن الأخرى لا تزيد مساحة الصغيرة فيما عن خمسة عشر متراً والكبيرى لاتبعد عنها كثيراً وقد حشروا فيها الطلاب والطالبات حشراً لضيقها وكثريهم وذكروا أن هناك أعداداً غير هؤلاء من أبناء المسلمين يريدون الالتحاق بالمدرسة على ضيقها وضعف إمكاناتها لكنها لاتسع لهم.

وهي تابعة للمسجد بمعنى أنها بدون أجرة وإنما بنيت مع المسجد لهذا الغرض والمدرسوں فيها أيضاً بدون أجر فليست لهم رواتب شهرية أو أسبوعية وإنما يتقاسمون ما يحصلون عليه من رسوم شهرية رمزية من أولياء بعض الطلاب القادرين على العطاء وأما الفقراء والمحتجون فلا يأخذون منهم شيئاً لأنه لا يوجد لديهم شيء يعطونه وأخبرنا المدرسوں أنهم متفرغون للعمل في المدرسة بمعنى أنه ليست لهم أعمال أخرى خارجها وذكروا أن عدد طلابها يبلغ أربعين طالب من الجنسين.

وأنهم يتناوبون الحضور في أوقات مختلفة لأنها لا تكاد تسع نصف هذا العدد.

واوضحوا أهم ما تحتاج إليه المدرسة مع أنه واضح لنا وهو توسيع المبني الذي هو من الطين غير قابل للتتوسيع إلا إذا بني بجانبه بناء آخر كما ذكروا أن المدرسين بحاجة إلى مساعدة تمكّنهم من الإستمرار في العمل.

ثم حضر مدير المدرسة وإسمه ورسمه كلاهما يوحى بالجمال والطمأنينة عكس الحال في مظهر مدرسته فاسمـه (الطاـهر الغـالي أـحمد) من تـشـاد يـرـتـدـي لـبـاسـاً نـظـيفـاً أـيـضـاً مع غـطـاء الرـأـس وـهـو خـفـيفـاً السـمـرةـ.

والملحوظ هنا أن الاخوة المسلمين من تـشـاد هـم نـظـيفـو الثـيـاب وـذـوـوا أفـكار رـاقـية بـالـنـسـبـة إـلـى سـائـر الـمـوـاطـنـيـنـ من غـيرـ الـمـعـلـمـيـنـ فيـ هـذـهـ الـبـلـادـ

مع الأخ الطاهر الغالي



أما حي (كينا) هذا فإنه شعبي موغل في شعبيته لا أثر فيه للازفلت، بل ولا لآية عنابة مدنية حتى القمامنة فانها لازالت مكونة فيه ولم أر من يبعدها عنه كamarأيت هذا من قبل في أحد الشوارع في حي (كيلو خمسة).

ومن الظواهر الإفريقية فيه نساء يطبخن الطعام خارج البيوت فضلا عن كون أكثر الملابس منشورة في الخارج.

ومن ذلك أيضا بتر تستسقى منها نساء ذوات مظهر تكروني، وحزم من خشب قد أعد للبيع أو الاستعمال خارج البيوت، وأطفال مسلمون من أطفال أهل السودان الغربي بعضهم عليهم الملابس الشبيهة بالعربية وهي القمص تحتتها السراويل وهذه كلها مظاهر إسلامية غير أن هناك مظهراً ليس إسلامياً بل هو كريه يتمثل في وجود خنازير سائبة في الشارع تأكل من الحشائش أو تبحث في المياه القدرة عما تأكله من قمائم ونحوها ومنظرها بقبح شكلها، وبآثار المياه القدرة على خراطيمها

وقوائمهما مما يصد النظر عن رؤيتها لو كانت حلالا، ولا أشك في أنها قد تسربت إلى الحى بحثاً عما تأكله من القاذورات من أطراف الحى أو هي لقوم من الكفار في الحى نفسه حيث يوجد عدد منهم هنا.



لافته مسجد عباد الرحمن

مسجد عباد الرحمن

وصلنا إليه في حي تكروني أو سوداني غربي ولو قلت : تكروري كما كان المؤرخون المسلمين يقولون سواء منهم المؤرخون الغرباء عن البلاد أو من مؤرخي السودان الغربي أنفسهم منهم على سبيل المثال الشيخ محمد بيلاو بن الإمام المصلح الشهير عثمان دان فودى حينما عنون كتابه المطبوع المشهور بـ (إنفاق الميسور من أخبار بلاد التكرور) لو قلنا ذلك لما عرفتهم القراء عندنا وإنما ذكرنا ذلك لأنهم لا يرون عيبا في هذه التسمية بل إنها تسمية لهم عرفوا بها في خارج بلادهم وإن لم تكن معروفة داخلها.

إلا أن كلمة (تکروري) قد اصبحت في بلادنا (تکرونی) بإبدال الراء نونا واكتسبت مصطلحا آخر غير المصطلح المعروف عند العلماء فصارت تعني في اذهان بعض الناس (اسود اللون) مع انها لا تعني هذا على وجه العموم عند اسلافنا المؤرخين القدماء وانما كانت تعني جيلا من المسلمين الذين تقع بلادهم في بلاد السودان الغربي وهم الذين كانت لهم سلطנות وممالك إسلامية عظيمة وبلغ بعضهم مبلغاً كبيراً في العلم والصلاح وبكيفهم فخرًا في الحديث إنشاء دولة الاسلام القوية في شمال نيجيريا وما حوله علي يد الشیخ عثمان دان فودی.

وهوئاء الاخوة (التکارنه) يتميزون عن أهل البلاد بفارق ذهنية كثيرة.

فعلى سبيل المثال رأيت نسوة من أهل الحي أقل سواداً من أهل البلاد الأصلاء ويغلب عليهن الحياة بحيث أنهن عندما رأينا مقبلين وقفن عند أبواب بيوتهن من الداخل وهن يراقبن الغرباء بخلاف نساء أهل البلاد اللائي لا يبالين بالغرباء ولا بالقرباء من الرجال وإنما ينظرن دون مبالغة أو كما ينظر الرجل إلى الرجل.

وقفنا عند المسجد وكان مغلقاً فأرسلت إحدى النساء الواقعفات بنية إلى بيت مجاور وارسلت إليها صبياً قال: إنها تقول إن المفتاح مع المؤذن وإنها أرسلت إليه في بيته كما أرسلت إلى إمام المسجد ليحضر وقد آنستنا من المسجد وهو مغلق لافتة التي كتب عليها بخط عربي مشرقي اسمه (مسجد عباد الرحمن تأسس عامي ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م) وتأمل هذا التعبير في الجمع بين التأريخين الهجري والميلادي بكلمة عامي: تثنية عام مع انه عام واحد له اسمان أو صفتان.

وكان اول الحاضرين أخاً اسمه (ابراهيم مرحوص) من الشخص ضد الغلاء — وهو من تشارد ثم حضر الامام واسمه محمد عيسى وحضر غيره فذكروا أنهم جمِيعاً كانوا يحتسبون الأجر من الله تعالى بالعمل في المسجد ولا يتتقاضون على ذلك أجراً من أحد وقالوا: إنهم كانوا قد هاجروا إلى هذه البلاد قبل الحرب الاهلية في تشارد وذكروا لنا أن أحد المسلمين اللبنانيين الاثرياء في البلاد ساعدهم على بناء المسجد بشراء الاسمنت والصياغ.

والمسجد صغير مفروش بحصر إشتراوها من تبرعات المسلمين وفي داخله لافتات كلها بالعربية إحداها فيها البسمة و(لا اله الا الله الملك الحق المبين محمد رسول الله الصادق الامين عليه الصلاة والسلام). و(صلوا على الحبيب محمد عليه الصلاة والسلام).

والآلية الكريمة: «وتعاونوا على البر والتقوى».

وبجانبه في الخارج مكان مخصص للنساء خال من الفراش قالوا إنهن يصلين فيه يوم الجمعة.



مع إمام مسجد عباد الرحمن في محراب المسجد

ويقع في حي اسمه (كوكو تروا) وهو حي قديم كبقية أحياء هذه العاصمة الأفريقية الوسطى فيهأشجار منأشجار فاكهة (البابا ي) ونخيل الزيت وبجانبه بئر يتوضأ منها الناس للصلوة. ويجلب منها الناس الماء لبيوتهم لأن مياه الانابيب لم تصل للحي.

ومن لطيف مارأيته في هذه البئر أنهم قد ركبوا على فوهتها التي هي غير واسعة وعاء حديدياً (برميلا) يغلق ببطء يغلق بغلق يكون في هذا صيانة للبئر عن الأوساخ وحماية للأطفال من الوقوع فيها.

ويبلغ عمق هذه البئر حوالي ١٤ متراً.

وقد ودعنا الإمام الذي كان يرتدي ملابس (سعوية) كاملة حتى إنه يغطي رأسه (بشماخ) أحمر وكذلك الذين حضروا معه.

المسجد العتيق

تركنا هذا الحي غير العيد عائدين إلى الشارع الرئيسي في حي (الكيلو خمسة) وذلك لزيارة المسجد العتيق الذي ذكروا أنه أول مسجد أقيم في مدينة (بانغي) وكانت أولى الشواهد على العناية به معذنته التي أقيمت على هيئة صومعة شاهقة بالنسبة إلى الابنية الشائعة في الحي وهي إلى ذلك ملونة بألوان فاقعة من الأخضر إلى الأرجواني والازرق، وفي رأسها شاهد وهو الهلال إلا أنه بدون نجمة في وسطه كما هو المعتمد في بعض المساجد.

ومع اتفاق الذين حضروا معنا على أن البناء الحالى للمسجد كان في عام ١٩٦٨م فانهم إختلفوا في تاريخ بنائه الاول وأكثر الاقوال إعتدالا هي أنه كان في عام ١٩٣٩م قابلنا بقرره الأخ الحاج (مالم بابا) إمام



مئذنة المسجد العتيق كما ترى على البعد

الجامع و(مالم) هنا: هي (معلم) العربية التي يراد بها معلم الدين الإسلامي. وقال إن اباه كان يوم في المسجد قبله.

والإمام هو ساوي من (الهوسا) أو الحوس كـما كان مؤرخو العربية القدماء من أهل السودان الغربي يسمونهم وـهم أقوياء أصحاب مهن وزراعة وجلد في الحرث ويسكـتون في عدة بلدان إفريقيـة من النـيجـر إلى بنـين وـتـوجـو وـغـانـا وأـكـثـرـهم يـسـكـنـونـ فيـ شـمـالـ نـيـجـيرـياـ وـرـغـمـ نـعـتـ بـعـضـ الـكتـابـ لـهـمـ بـأـنـهـمـ قـبـيلـةـ الـهـوـسـاـ فـإـنـ هـذـاـ غـيـرـ صـحـيـحـ لـأـنـهـمـ لـاـ يـنـتـسـبـونـ

جميعاً إلى قبيلة بذاتها، وإنما هم مجموعة من الناس تجمعهم اللغة الهوساوية دخلت فيهم على فترات مختلفة أقوام أخرى فتكلمت بلغتهم فعدت منهم.

وللقبيلة في إفريقية أهمية كبيرة فقد حرص الأخ الكريم الحاج (مالم بابا) على تأكيد أن الهوسا هم الذين قاموا على بناء هذا الجامع العتيق. وقال إنهم بنوه وحدهم من دون مساعدة من أحد وهو يعرف العربية جيداً ويرتدى القميص العربي الطويل.

مدرسة فلاح الإسلام

أضاف الأخ الحاج مالم بابا إمام المسجد العتيق إلى قوله بأن المسجد الجامع لم يتلق مساعدة من أحد بأن ذلك لا يشمل المدرسة الإسلامية الملتحقة به والمسماة (مدرسة فلاح الإسلام) فقد ساعدتها السفارة السعودية بأربعة ملايين فرنك إفريقي بنت بها المدرسة هذا البناء الاسمنتى المسلح الذي لا يزال غير تام.

ويبينما كان يتحدث حضر (محمود باباموديو) وقال إن السفارة ساعدتنا بمبلغ أربعة ملايين وسبعين ألف فرنك لكن أنفقها على المدرسة أحد الأشخاص غير المؤوثق بهم، ولم يسلموها لنا فبقيت المدرسة ناقصة وقد ارادت السفارة أن تكملها ولكنها طلبت مني إيصالاً بالمبلغ الذي صرفه ذلك الرجل على المدرسة فلم أقبل فبقي البناء كما ترون ناقصاً.

ورأينا بناء جيداً بالاسمنت المسلح. ولكنه وقف عند السقف، والسقف المعتاد هنا يكون من الصاج على هيئة السنام، وإذا لم يتبق

عليه إلا السقف ومع ذلك فان مدير المدرسة لم يتقبل بقية المساعدة على اعتبار أنه لم يشرف على البناء الأول وأنه يعتقد أن ذلك الرجل الذي ذكر أنه أحد الدعاة من نيجيريا قد تصرف في بعضها وطبعي أنه للحكم على الموضوع حكماً كاملاً لابد من سماح مالدى السفارة لا سيما في قوله إنه لم يقبل تبرعاً جديداً من السفارة مع أنني رأيت أوله بناء اسمنتياً قوياً مغطلاً ذكر بنفسه أن آخره كان صكاً (شيكاً) أرسلته السفارة ولم يقبله فعاد إليها.

وحدثنا عن المدرسة فقال إنها افتتحت في عام ١٩٥٦م وأنها تضم ٣٣٣ طالباً وطالبة والدراسة فيها مختلطة من البنين والبنات وذكر أنهم يتلقاًون رسوماً شهرية من الطلاب يتقاسموها المدرسون فيما بينهم كل شهر.

ثم تجولنا على فصول المدرسة بصحبته فرأيناها كبيرة حافلة بالطلاب والطالبات بعضها في الأروقة الخارجية للمسجد وبعضها في غرفة واسعة ملحقة به.



وجميع لافتات المدرسة والكتابة على سبوراتها هي باللغة العربية
والجميع يتكلمون العربية بطلاقة.



ثم تجولنا في المسجد فرأيناه عالي السقف متسع المساحة مفروشاً بالحصر فوقها جلود الأغنام الكبيرة الموجودة في شمال نيجيريا إذا رأها الذي لا يعرفها لا يصدق أنها من الغنم لأنها كبيرة وهي التي تكون مقسومة مناصفة باللونين الأسود والبياض لا يطغى أحدهما على الآخر بل كأنما خطرت بقلم رسام وقد رأيت هذه الغنم كثيرة جداً وهي ترعى في شمال نيجيريا كما رأيت رعايا منها في مدينة (صوكتو) هناك وذكرت ذلك في كتاب (قصة سفر في نيجيريا) الذي لم يطبع بعد.

ولفت نظري وجود أوعية صغيرة من الفخار المصنوع في هذه البلاد في محراب المسجد أحدها فيه رمل والثاني فيه عبر وهو الأعواد التي

تطيب بها الغرف بإيقاد النار في طرفيها والثالث فيه مجموعة من المفاتيح الخاصة بالمسجد أو مراقبه.

كما رأيت في جانب من المسجد هيكل سماعات كبيرة ذكر الإمام أنها معطلة من مدة وأنهم لم يستطيعوا إصلاحها ويتمون أن يصلهم غيرها من السماعات الكبيرة لأن المسجد تحتاج إليها، وليست السماعات بالشيء الوحيد الذي يحتاجه المسجد وإنما هناك أشياء أخرى مثل ترميم السقف لأنه (يكف) أي يسقط منه الماء عند نزول المطر كما أن المكان المخصص لصلاة النساء يوم الجمعة لا فراش فيه.

ومع ذلك رأيناهم قد كادوا يفرغون من بناء قاعة إسمانية واسعة ملحقة بالمسجد وهذا يدل على علو هممهم، وبذلهم فيما يصلح المسجد.

ويقع المسجد على شارع رئيسي إلا أن أهم ما يميز هذا الشارع ركود المياه القدرة الموجودة على جانبيه في قناتين كالعاده ولكن إدراهما يظهر أنها مسدودة في بعض الواقع مما جعل منظر هذه المياه القدرة الرائكة وحدها كريها جداً.

إلى جامع نور القرآن

من الجامع العتيق إلى جامع ذكروا أن اسمه: (جامع نور القرآن) غير أنني رأيت لافتة فيه مكتوبة بالعربية نصها: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» (وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ اللَّهُ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا) صدق الله العظيم، جامع انفوسا، بانقي، أفريقيا الوسطى.

وهو أكبر مسجد في بانقي في بنائه الجديد من الاسمنت المسلح القوي وفي مقدمته مناراتان بل صومعتان لأنهما مئذنتان مربعتان عاليتان إلا ان فيهما من الغلظ والاتساع ما أتعجبني حتى صعدت واحدة منهما فرأيت أن في وسطها غرفاً ومكاتب يستغلوها وهي من ثلاثة طوابق مرتفعة عن باقي المسجد المؤلف من طابقين في مؤخرته بخلاف المصلى الرئيسي الذي هو مرتفع السقف.



جانب من جامع نور القرآن كما يدو من الخارج

وطبيعي أن يلفت بناءه النظر بقوته وكثرة ما يحتاج إليه من نفقة لذلك لم أعجب حينما قالوا إن سفير المملكة العربية السعودية في الكاميرون المجاورة الاستاذ عبد الرحمن العقيل قد ساعدتهم على بنائه بمبلغ جيد وقد عرفت عن السفير العقيل الشهامة والاحلاص في العمل الإسلامي إلى جانب عمله الأساسي وهو السياسي. وقد جعلوا في القسم الخلفي لهذا المسجد مصلى للنساء مغلقاً ما بينه وبين الرجال

بحيث لا يرين منهم أحداً وهو أمر عجيب في هذه البلاد التي لا تعرف المرأة حتى المسلمة فيها الحجاب ولا تستغرب الاختلاط بالاجانب في الشارع والسوق والمحلات العامة.

وفوق القسم الخاص للنساء غرفة ضيافة قالوا: إنها ستكون للقادمين من المسلمين لفترة معينة بجانبها مكتب، وكل ذلك بالاسمنت المسلح حتى سقفه.

وبجانب هذا المسجد مدرسة إسلامية ولكنها داخلة في الموقع عنه بعيدة نوعاً عن الشارع بخلاف المسجد الذي هو واقع على شارع عام واسع مباشرة ولذلك وضعوا لافتة للمدرسة على الشارع العام كتبوا عليها بخط عريض جيد (مدرسة نور القرآن) تأسست عام ١٩٧٧م. فقدنا فصوص المدرسة مع المدرسين ومنهم الاخ (محمد صلاح الدين مغيران) من تشارد ذكر أنه تعلم في تشارد وفي السودان أيضاً.



عند لافتة مدرسة نور القرآن
المؤلف في اليمين بجانب اللافتة وفي اليسار أحد المدرسين

رأينا في السنة الثالثة من المدرسة الدرس وهو في النحو مكتوبا بالعربية من دون أن يعرفوا أنها سنзор المدرسة وعنوانه بعد البسمة «الالف الممدودة» ثم بين أحكامها بتفصيل جيد متقن ، والاستاذ صلاح الدين نفسهجيد المعرفة بالعربية ولكن قدره أنه وإخوانه من المدرسين امثاله وجدوا وسط إمكانات محدودة لابراز مالديهم من علم وفضل وبإمكانات أقل من ذلك في مكافأتهم على أعمالهم.



درس النحو على سبورة مدرسة نور القرآن والمؤلف
واقف أمام الفصل مع بعض المدرسين

ومع درس النحو المعقد هذا فقد لاحظت على أحد الأطفال في هذا الفصل حرزاً موضوعاً في غلاف جلدي صغير ومعلقاً في رقبته ويتدلّى على صدره فذكرت ما كان عليه الحال عندنا قبل عشرات السنين عندما كانت الأمهات في الbadia يعلقون على أطفالهن مثل هذه الحروز التي تتضمن في الغالب أدعية وأوراداً معروفة وكانت العامة تسمّيها (الخط) لأنها تخط فيها آيات تلك الأوراد والأدعية.

أما السنة الرابعة في المدرسة فإن الدرس فيها الذي رأيناها على السبورة

هو الحساب وكله بما في ذلك المسائل وحلها باللغة العربية والأرقام أرقام مشرقية وليس مغربية أو ما تعرف الآن أنها فرنجية وهي العربية التي يسميها حتى الغربيون بذلك وهي المستعملة الآن في تونس والجزائر والمغرب وهي الأدبي انتشاراً في العالم لا الغربي وحده بل حتى الشرقى فقد رأيتها مستعملة للأرقام وحيدة في اللغة الصينية واللغة الكورية وأكثر ذلك ظهوراً هي أرقام السيارات في البلدين المشار إليهما.

وقد أخبرنا المسؤولون عن المدرسة من المدرسين وجهم سور من المسلمين حاضر يسمع ذلك أن المدرسين ليست لهم رواتب وإنما يتلقاً من كل طالب قادر على الدفع مبلغ خمسمائة فرنك إفريقي غربي في الشهر ويساوي ذلك أقل قليلاً من أربعة ريالات سعودية أو ما يزيد بقليل عن دولار أمريكي واحد فيقتسمون ذلك فيما بينهم وقالوا كما قال إخوانهم المسؤولون الآخرون من قبل: إننا لا نأخذ شيئاً من الطلبة الفقراء بطبيعة الحال لأنهم لا يستطيعون الدفع ونحن لا نستطيع ان نردهم عن التعلم وذكروا أن المدرسة تضم ١٣٩ طالباً وطالبة و٤ مدرسين وأنها بحاجة ماسة إلى المقررات المدرسية للمرحلة الابتدائية ومقاعد للطلاب. ثم انتقلنا لمشاهدة مبني جديد للمدرسة جيد ولكنه لم يكمل.

مسجد نور الانوار

لأنزال والله الحمد والمنة في النور والأنوار رغم نقص الدرهم والدينار، عند هؤلاء الاخوة الأبرار فمن جامع (نور القرآن) الذي تقع بجانبه مدرسة (نور القرآن) أيضاً انتقلنا بالسيارة إلى مسجد آخر إسمه (نور الأنوار).

وجدنا حوله الحاج على سليمان قالوا: إنه رئيس جمعية الحاج وقال لنا إن أكثر بناء المسجد هو تبرع منه. والمسجد مبني بليل الاسمنت ومسقف بسقف مستعار لم نر منه سقفه الحقيقي.



وذكر أن السفير السعودى في الكاميرون عبدالله العقيل قد ساعد فى بناء هذا المسجد.

وذكر الأخ (علي سليمان) أن عدد المصليين في الأوقات المعتادة يبلغ حوالي المائة وأما في صلاة الجمعة فان العدد يصل الى أربعين مائة. والمسجد يعرف بمسجد مسكين إضافة إلى (مسكين بن حسن) ويقع على شارع (كو دوكو) في حي بيته غير متلاصقة وأكثرها ذات حدائق غناء.

ثم تركنا هذا المسجد عائدين إلى الفندق فسلكنا شارعاً واسعاً ترى منه على بعد تلال خضر جميلة إنقطت لها صورة منه.

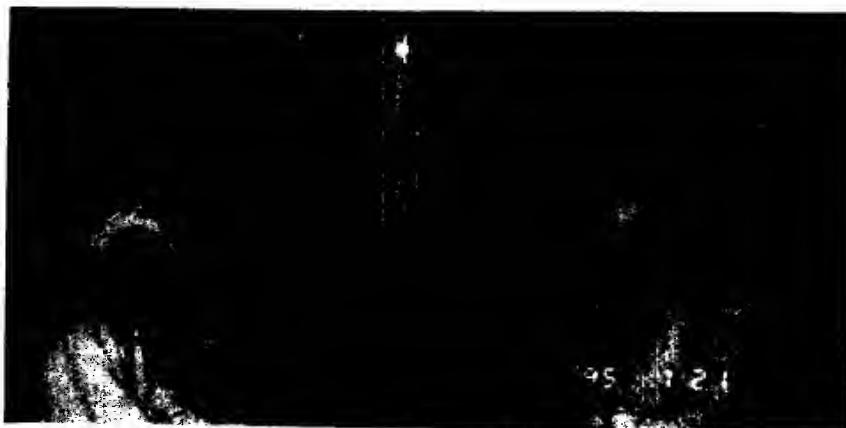
وقد غامت الشمس قليلاً فعدنا الى الفندق
فطلب الاخ السائق المسلم منا الفين وخمسين غريبي
أجرة ل الساعة الواحدة بسيارته ويساوي هذا حوالي اثنين وعشرين ريالاً.



شارع واسع في بانغي

مواصلة الاجتماع بالأخوة المسلمين :

وفي هذا المساء زارنا في الفندق طائفة من الإخوة مدرسي المدارس الإسلامية كان بعضهم قد أخبرهم بقدومنا وذلك في مجموعتين إحداهما حضرت قبل صلاة المغرب وعدد أفرادها تسعه والأخرى بعدها

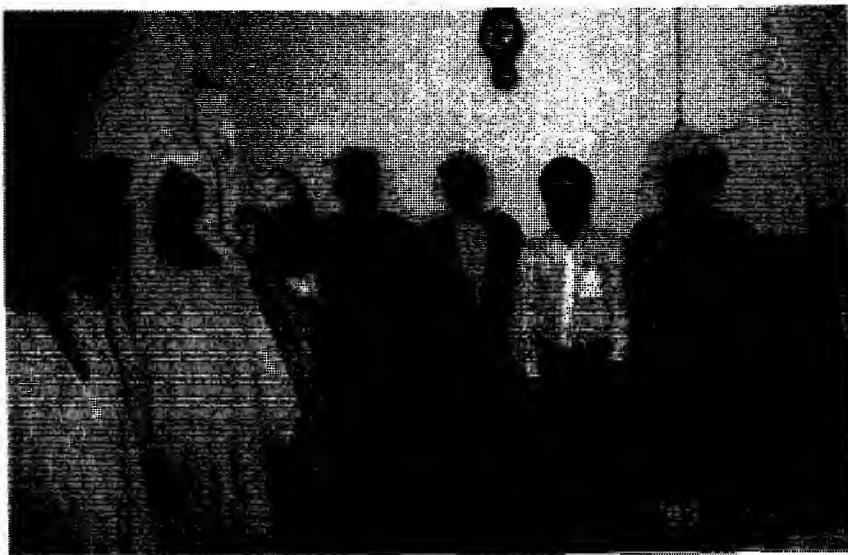


أثناء الاجتماع في الفندق بمدرسي
المدارس الإسلامية في بانغي

وكان معهم الأخ (اباموسى) الملقب بالقرآنى نسبة إلى اشتغاله بتعليم القرآن الكريم وقد أرانا الأخ القرآنى أوراقاً عما سمعنا به من قبل عن قيامه بالدعوة وإسلام بعض الاشخاص على يديه ومن ذلك ورقة فيها ذكر بعضهم.

وهو صاحب مركز إسلامي كان كلامنا بشأنه الاخ دفع الله (سكتير) السفارة السودانية وقال إن المركز ينفق عليه من تبرعات المسلمين وأنه سبق أن تلقى كتاباً من العراق ومصر ولibia، كما أن المساعدة الوحيدة التي وصلت إليه من الخارج كانت من المملكة العربية السعودية وذلك عندما زار وفد من الرابطة هذه البلاد قبل ثلاث سنوات واشتروا له آلة رافعة للمياه ودرجة نارية لتنقلاته.

وقد حضر معه من هؤلاء الأخوة تسعة اشخاص



صورة تذكارية مع بعض العاملين في الحقل
الإسلامي في بانغي في قاعة الاجتماع في الفندق

وفد الشباب المسلم.

كما حضر ممثلاً حركة الشباب المسلم وقدموا اوراقهم الرسمية التي رأيت فيها اسم حركتهم: (رابطة الشباب الإسلامي الأفريقي الوسطى)، وعدد الذين حضروا منهم سبعة فيهم رئيس الجمعية الأخ على حسين أمه من أهل البلاد الأصلاء ووالده من منطقة مروي في شمال الكاميرون.

ذكروا أنهم لم يتلقوا أية مساعدة من الخارج وأن أهم مساعدتهم الان أن يجدوا مكاناً خاصاً بهم لأنهم لا يستطيعون إستئجار المكان فضلاً عن إمتلاكه وإنما يمضون أعمالهم في الوقت الحاضر في مكان لأحد الأخوة المسلمين سمح لهم بالبقاء فيه حتى يجدوا لأنفسهم مكاناً خاصاً بهم.

وذكرت أن أول ما يعملون له من الآن إقامة مؤتمر عام للشباب المسلمين في جمهورية إفريقيا الوسطى يحضره ممثلون من أنحاء الجمهورية حتى يتدارسو أمورهم فيما بينهم ويرسموا طريق العمل للانطلاق للدعوة، غير أن هذا يتطلب نفقات لا قبل لهم بها.

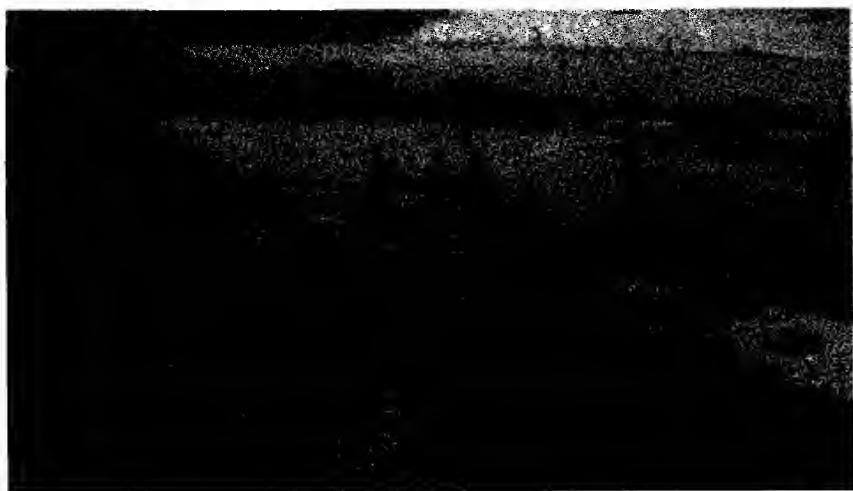
وقد طلبنا منهم كتابة ما يحتاجونه ووعدناهم بالكتابة للندوة العالمية للشباب الإسلامي التي مقرها الرياض لكي يعملوا علي الإتصال بهم ومساعدتهم على مشروعاتهم ثم ليسجلوا منظمتهم هذه لدى الندوة حتى يدعوا في المستقبل للمشاركة في الاجتماعات والمؤتمرات الإسلامية للشباب التي تعقدتها الندوة أو تعقد بمعرفتها ومساعدتها.

وقد تقدموا بعد ذلك بالفعل بحاجاتهم نسأل الله تعالى أن يسر لنا العمل على قضائهما.

يوم الاثنين : ٣٠/٤/١٩٨٥ م ٢١/١/١٤٠٥ هـ

صباح العصيد:

كنت مع صديقي ورفيقه في هذه السفرة الإفريقية السفير عبد الوهاب الذاكري عضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي ومدير مكتب الرابطة الإقليمي في غرب إفريقيا الذي مقره داكار وعمله من الناحية الرسمية يشمل هذه المنطقة وقد نزلنا لتناول طعام الافطار في مقصف النهر هذا الصباح مبكرين وكان الجو حسناً كما كان يقول أصحاب نشرات الأحوال الجوية إذا كانت الشمس صاحبة مع أن حسن الجو بالنسبة إلينا في بلادنا الصحراوية أن يكون غائماً أو ممطراً وكان الملفت للنظر أن جماعة من البائعات الإفريقيات هنا قد يكرن إلى مكانهن المفضل قرب النهر وأخذن يوقدن النار بالحطب تحت قدور كبيرة ومع كل واحدة منهن (معصاد) وهو الذي تحرك به العصيدة في القدر لكيلا تتعقد فلا يذوب الطحين.



العصيد على ضفة نهر أوبانغي بجذاء فندق الصخرة

وشندي منظر هذه المرأة التي تعصى العصيدة بالعصاص وهو عود غليظ الرأس قليلاً كان له شأن في حياتنا قبل نصف قرن إذ كنا نرى أهلنا يصنعون العصيدة من الذرة في أيام الشتاء الباردة فكما نحب ذلك وكنا من وسع الله عليه في أيام الجدب تلك فكان أهلنا يضعون عليه تمرات من السكري اليابس حتى تحليه ولابد من شرب اللبن فوقه.

أما المعوزون من الناس فانهم كانوا يصنعون العصيدة من أي حب يكون مثل الدخن أو الذرة ويأكلونها طول العام وكيفما اتفق لها من المقبلات ولذلك فقد استمتعت في منظرها مما شد إنتباه زميلي الدكتور وربما كان ظن أن العصيدة هي من إختصاص هذه المنطقة الأفريقية ولم يكن يعرف أن هناك عصيدة آسيوية أصلية.

ولذلك بادرت لاحضار المصورة (آلة التصوير) أهتب غرة من إحدى العصادات لكي التقط لها صورة لأنهن بالأمس بادرن بالإستنكار، بل بالإنكار على عندما التقى صورة لهن وساعدهن على ذلك رجال من الأفارقة كانوا واقفين عندهن.

ورأيت المواطنين يقفون عند بائعة العصيدة فتغرس لهم منه باناء صغير فيجلسون على مقعد مستطيل من الخشب ويأكلون وبعضهم إذا لم يجد مقعداً خالياً جلس على أي شيء.

وبائعة تغسل الإناء الذي انتهى منه آكل العصيدة أو شاربها إن شئت لأن لون العصيدة يظهرها غير صلبة ثم تضع فيه العصيدة مرة أخرى لمشتر آخر والغسل بالماء من النهر.

الى بلدة بوالي:

تقع بلدة (بوالي) على بعد يقل قليلاً عن مائة كيلو متر عن العاصمة وفيها شلال يسمى شلال بوالي وتولد الكهرباء من مساقط الماء فيه وفيها مسجد يستحق أن يرى وجماعة من المسلمين لم يتصل بهم أحد من خارج البلاد لغرض المساعدة على الدعوة من قبل .

وأهم ما أراه واجباً في مثل هذه الحال هو الحصول على المعلومات الصحيحة عن وضع المسلمين بالمشاهدة أو بالأعتماد على مشاهدة الثقات وإذا ما تيسر الأولى فهى الأولى كما في الآية الكريمة «ولكن ليطمئن قلبي» والمثل القديم: ليس الخبر كالعيان.

وفي الذهاب إليها أيضاً فائدة بل فوائد إضافية منها الاطلاع على حالة الريف وأهل البوادي في الطريق التي نمر بها إلى تلك المدينة. اتفق الأخ الشيخ (يوسف نيماقا) مع أحد الأخوة المسلمين واسمه على محمد أصله من البرنو على اجرة الذهاب إلى هناك بأجر محدد للمسافة كلها هو عشرون الف فرنك إفريقي غربي ، وكنا عزمنا على السفر إلى هناك مبكرين غير أن صاحب السيارة قال إنه يلزمها أن يحصل على رخصة من الحكومة للقيام بهذه المهمة لأن سيارته مخصصة في الأصل للعمل داخل مدينة بانغي ولا يجوز لها أن تعمل هناك.

وانتظرنا مدة ساعتين كاملتين حتى ظننا أنه قد عدل عن الذهاب ثم جاء يحمل الرخصة.

في ريف إفريقيا الوسطى

غادرنا مدينة يانقي العاصمة في التاسعة والربع من هذا الصباح مع قلب المدينة الجيد الذي بنى بيته بالأسمنت أكثرها من طابقين ويقع

فيه ميدان (ديمترى) الذي أقاموا فيه تمثلاً لزعيم الاستقلال عندهم (بوغندا) بالباء الموحدة.

حديث عن بوکاسا:

ال الحديث عن الزعيم. الفارط لهذه البلاد الامبراطور الرافع (بوکاسا) كثيراً ما يدخل اليه المرء هنا وإن لم يقصد ذلك لاكرها في الحديث عنه وإنما لكونه مشغولاً بحديث آخر غير أن هذه البلاد هي بلاد بوکاسا وقد أثر فيها أثراً بالغاً لا يمكن أن يمحى من ذاكرة التاريخ بل إن الحديث عنه كان لفترة معينة حديث العالم كله وليس الحديث جمهورية إفريقيا الوسطى وحدها حتى إنه شغل فرنسا بالحديث عنه بعد إقصائه عن زعامة البلاد ونفيه منها، وذلك حينما أعلن أنه سبق أن قدم هدايا بمثابة الرشاوى للرئيس الفرنسي السابق (جيسيكار دستان) وهي قطع ثمينة من الماس وأثرت أقواله في كثير من الناس بحيث نالت في ذلك الوقت من منزلة الرئيس الفرنسي في النفوس.

ولكن الحديث عنه هذا الصباح لكونه هو الذي بنيت في عهده هذه الاقسام الجيدة من مدينة يانقى وهنا سألت الاخوة المسلمين عن منزلته في نفوس المسلمين؟ فقالوا إن المسلمين كانوا يحبونه لأنه كان قد سهل التجارة لهم وأنه وهذا هو الاهم كان قد أعلن إسلامه وتسمى بصلاح الدين.

غير أنه عندما ارتد عن الإسلام تدنى منزلته في نفوسهم وإن كانت لاتزال في الحالة الرفيعة لانه استطاع أن يقنع بعض زعماء المسلمين بأنه قد ارتد عن الإسلام بداعي سياسي وليس لدافع ديني أو لشيء يتصل

بالعقيدة حسبما ذكروه فهو قد أعلن نفسه إمبراطوراً متوجاً على هذه البلاد وأراد أن يضمن على حد زعمه عدم معارضة بابا روما والدوائر الدينية المسيحية لقراره ذلك فذكر للجميع أنه لا يزال مسيحيًا، ورجع عن تسمية نفسه بصلاح الدين وهو الاسم الذي كان قد أطلقه على نفسه عند إسلامه وهذا بطبيعة الحال ليس بعذر مقبول.

ومع ذلك لا يزال بعض المسلمين وطائفة كبيرة من أبناء الشعب وغيرهم يحبونه ويحترمون ذكره رغم ما صدر عنه من أفعال غير مناسبة ومانشه عنه خصوصه من أنه كان يأكل لحوم البشر.

الريف الإفريقي الأوسط

إذا كانت كلمة الوسطى في اسم هذه الجمهورية الإفريقية وصفاً فانه يصح أن يوصف ريفها بأنه أوسط وعلى أية حال فاننا منذ أن بعثنا عشرة كيلات من قلب مدينة بانقى شعرنا بأننا قد بدأنا الدخول في الريف بالفعل وإن كنا نرى الآن حياً أشبه بضاحية من مدينة لم تشملها كلها العمارة ولا البيوت ولكننا رأينا مقبرة مسورة فيها قال لنا الأخ الشيخ (يوسف نيماقا) إنها مقابر للمسلمين باسم هذه الضاحية (قبو نقو) منازلها أغلبها مبني بلبن الاسمنت وبعضاً بالطين المطلي بالجص وسقوفها من الصفيح.

وأما أكثر الأشجار المغروسة ظهوراً فإنها الموز والعمبة (المانغو).

ثم واصلنا السير في ريف ندي، بل إن في أماكن منه مستنقعات متراكمة وقد اتجهنا جهة الشمال وكان الطريق في هذا الجزء تعاد زفلته إذ رأينا الجرافات مع العمال وهم منهمكون في إصلاحه وتوسيعه.



الطريق الريفي بين بانقى وبوالي

وقد كان الشيخ الدكوري إشتري وسادة من السوق من أجل أن يجعلها وقاية لظهوره لأن المقاعد في هذه السيارة غير مريحة وإنما هي تحتاج إلى إبدال شأن كثير من سيارات الأجرة ثم مررنا بأكواخ من الطين في منطقة ليس فيها إلا هذه الأكواخ الطينية وبقربها أشجار كثيرة من أشجار القهوة نامية كبيرة وهذا يدل أيضا على أن هذا الريف هو بل رطب لأن أشجار القهوة لا تنمو إلا في مثل هذه الأماكن.

مركز الشرطة

رأينا سيارات واقفة وجندوًا واقفين على جانبي الطريق وقد سدوا الطريق نفسه بسلسلة حديدية مربوطة إلى عمودين في جانبيه.

والجنود يفتشن السيارات ويتحققون من ركابها، وعندما جاء دور سيارتنا لم يكن في أوراق السائق أى نقص وإنما كان السؤال عنا وقد نزل إليهم الشيخ الذكورى والسائق والمرافق الشيخ يوسف نيمافا فأخبروهم بأمرنا وبأننا دبلوماسيون ولكننا لم نحمل جوازات السفر معنا فتركونا نمر.

دخلنا إلى الطريق المزفلت وزفلته جيدة إلا أنه غير واسع ومع ذلك فهو يعتبر من الطرق الجيدة في إفريقيا وعلمنا أنه يمتد بعد ذلك إلى الحدود مع الكاميرون وإلى الحدود مع تشاد أيضاً من ناحية أخرى. وقد لاحظت هنا كثرة المنشور على الأرض من ثمر الكسافا ينشرونه ليجف وهو في بياض الدقيق ومنه يصنع الدقيق بالفعل في أكثر إفريقيا الاستوائية.

وزراعته شبيهة بزراعة البطاطس إلا أنه أشبه بالشجرة منه بالنسبة فشجرته كبيرة في مثل شجرة الفلفل الأحمر وثمرة ينمو داخل الأرض كالبطاطس ولكنه يخرج كالجذوع الصلبة الخشنة بعضها طويل ممتد حتى تراه على البعد مثل جذوع الشجر الكبير إذا خرجم من الأرض.

ويستعمل هنا لما يستعمل له الدقيق في البلاد التي تنتج القمح أو تعتمده غذاء لها إلا أنه صلب حشن يحتاج في تكسيره ثم طحنه إلى جهد.

وهو غذاء كله من النشا وليس فيه من الزلاليات شيء يذكر لذلك لابد من أكله مع مادة زلالية كاللحم أو البيض أو اللبن اذ اريد لأكله أن لا يصاب بسوء التغذية.

وكانت الكسافا المنشورة كأنها الطحين المعتمد منشوراً على الأرض في مساحات كبيرة وقد قصد من ذلك أن تجف وأن يراها من يرغبون في شرائها من المارة الذين يسلكون هذا الطريق.

ومعها أو بقربها حزم عديدة من الحطب الجzel وضعت على قارعة الطريق للبيع أيضاً.

والمساكن هنا كلها طينية وبعضاها مسقف بالقش وهو الأقل وإنما الأكثر مسقف بالصفيح إلا أن المنازل قليلة متفرقة لأن المنطقة ريفية خالية من القرى الكبيرة.

وأشجار الريف التي ترى ظاهرة لاتزال هي العبة والقهوة .

خيمة من القش.

رأينا في هذا الريف منازل أشبه ما تكون بالخيام لو لا أنها من القش وأنها ليس لها أروقة وهي الجوانب التي تكون للخيمة في العادة فهذه الخيام القشية تشبه المظلة الواقية من الشمس التي لا تمنع الهواء عن الجسم.

ولم اكن ألقى لها بالا إلا من حيث غرابة شكلها وكونها من مادة متوفرة عندهم وهي الاخشاب والقش ولكن إحدى هذه الخيام القشية، قد صارت ذات أهمية خاصة بالنسبة إلينا لأنها كادت تصدنا عن طريقنا وتعيينا خائبين الى (بانقي)!

لقد رأيت واحدة من هذه الخيمات القشية وتحتها ضابط وجنود من الشرطة إذ تبين أنها مركز للشرطة للتفتيش على السيارات والتتأكد من الأشخاص الذين يركبون فيها.

وكان أول ما نظروا فيه أوراق السائق فوجدوها مكتملة غير أنهم طلبوا حسبما قال السائق والاخ (يوسف نيماقا) أن يروا أوراقنا فقال لهم الشيخ يوسف: أنا إمام في المسجد وهذه أوراقني ثبت ذلك وهؤلاء الأشخاص تحت كفالتى فامتنع الضابط من قبول قوله فنزل رفيقى الدكوري إليهم، وأخبرهم اننا لانحمل جوازاتنا معنا وأن غرضنا من سلوك هذا الطريق هو رؤية شلالات (بوالي) والرجوع مباشرة إلى العاصمة.

فقال له الضابط إنه لا يجوز لمثلكم أن يغادر الفندق من دون أن يحمل جوازه معه ولذلك فأنا مضطر إلى إعادتكم من حيث أتيتم!
وكان هناك بائع للحم يشويه ويسبيعه لمن يقفون عند هذا المركز
فاستطابه المرافقون، فقلت لهم ممازحاً : احذروا ان يكون لحم قرداً
فقال الشيخ يوسف : إن لحم القرد أغلى من لحم البقر ولا يشتريه
إلا القادرون من الناس! وكان البائع يشوي اللحم على نار عنده ثم يلجمه
في أوراق من أوراق الموز ويأخذه الناس معهم.

وقد حضر اثنان من الجنود ففتحوا الحقيقة الخلفية في سيارتنا ثم
أوقفونا وبعد مراجعة معهم وإلحاح قبلوا بأن يرهنوا أوراق الشيخ يوسف
على أن يعطينهم مع ذلك حلواناً (بقيشياً) أو رشوة فاعطاهم خمسة
الاف فرنك وتساوي حوالي أربعين ريالاً سعودياً فأذنوا لنا بممواصلة السفر
وسهل الله لنا بهذه الفرنكات ما شددوه فترجمت على رؤبة بن العجاج
الذي أنشأ هذا الرجز :

لما رأيت الشفعاء بَلَّدوا نامستهم برشوة فأقردوا
وسَهَّلَ اللهُ بِهَا مَا شَدَّدوا

مع أن ما أعطيناهم ليس رشوة أخذنا بها حقاً لغيرنا وإنما هي بمثابة
الاتواة التي طلبها من يملك رданاً عن مقصدنا فدفعناها تلافياً لذلك.
تقاسم الرفاق مع الجنود اللحم المشوي الملفوف بورق الموز وترك
لهم نصيبي فيه لأن أوراق الموز نفسها لم تمس الماء وليس عند بائع
اللحم أي نوع من أنواع الماء أو التنظيف وسرنا مع الطريق الازفلي
الجيد على ضيقه، وفي وسط هذا الريف الذي ليس في بيته شيء مبني
بالحجارة رأيت أكوااماً من الحجارة قد صفت على شكل هرم على
قارعة الطريق معروضة للبيع لمن يريد أن يشتريها وينقلها. إلى جانب

حزن الحطب الكثير والكسافا وأكياس من الفحم وكلها للبيع من
منتجات هذا الريف حتى الحصا فإنه منه.

وقد أصبحنا نرى البيوت كلها في هذا الريف طينية ذات سقوف من
القش على شكل الأسنمة.

نهر مبوکو:

إنجاز الطريق نهراً عليه جسر لابأس بجودته فسألت عن اسم هذا
النهر فكان الرفقه قد استكثروا السؤال عنه واستصغروا النهر عن السؤال
فقالوا إنه صغير لا يستحق الذكر مع أنه في ضخامة نهر (بردي) في
دمشق مرتين ومجراه مفعم بالمياه الحمراء التي تحمل الطمي والخصب
للزراعة.

وقالوا إن اسمه مكتوب على لافتة فوقه لم أقطن لها من قرب وهو
(مبوکو) وهذا جرس إفريقي إستوائي مما يدل على أن الاسم وطني أصيل
في وطينه.

وقد لفت نظري منظر الريفيات بثيابهن النظيفة وشعورهن التي
جعلنها صفاتٍ صغيرة واقفة إلى أعلى لقصرها وشعور البنات الصغيرات
قد جعلت على هيئة الحقل المحروم.

وهن جمِيعاً مع رجالهن من جنس البانتو الأصيل الذين يسميهُم
الأوربيون بالزنوج ونحن لا نقر لهم هذه التسمية لأن الزنوج أو الزنج
عندنا هم جنس من الناس أو جيل من الناس بمعنى قبيل منهم تقع
بладهم في شرق القارة الأفريقية فيما بين الصومال وموزمبيق.

وكانوا يسمون ذلك الساحل (برالزنج) والبحر الذي يليه الواقع شرق
القاره (بحر الزنوج) وبقيت من هذه التسمية (زنجبار) التي انتقلت

تسميتها من ساحل القارة الشرقي إلى تلك الجزيرة الواقعة غير بعيدة من الساحل مثلما إننقل اسم البحرين من شرق جزيرة العرب إلى تلك الجزيرة المسممة بالبحرين الآن الواقعة في مياه الخليج العربي واسمها القديم كان (أوال).

استمرت السيارة في السير واستمرت مشاهدتنا لا كواخ (قشية) هرمية الشكل وهذا هو شكل البيوت الأفريقية الأصلية ورأيت هنا ماعزاً أليض اللون بل شديد البياض على حين أن الوان الناس شديدة السوداد فالجو الذي أثر السوداد في الناس لم يؤثر سواداً في الحيوان.

ثم أوقفنا مخفر آخر للشرطة في مقر هو (عشتة) أيضاً على هيئة الخيمة كالتي قبلها ولكنهم اكتفوا بالاطلاع على أوراق السيارة.

وعلق الشيخ يوسف على كثرة الشرطة في هذا الطريق بقوله: قبل مدة قصيرة كان هنا خوارج يريد قطاع الطرق يقتلون الناس!

ثم علق الشيخ الدكوري بتعليق آخر ليس له علاقة بالأول فقال: إن هذه المنطقة كانت تابعة للكاميرون في القديم ولكن الاستعمار الفرنسي هو الذي خطط حدود هذه المستعمرات.

قرية لامبالي

مررنا بنهر أكبر من الأول مكتوباً عليه اسمه (لامبالي) فوقه جسر جيد ثم بجانبه مباشرة قرية اسمها على اسمه (لامبالي) أبصرنا فيها ونحن نسير قوماً من إخوتنا أهل تشاد بملابسهم العربية التي توحى بأنهم يعرفون العربية بل يجعل المرأة يجزم بأنهم كذلك لأن هذا هو المعروف عنهم فكان هذا مما بدد شيئاً من الشعور بالغرابة في هذا الطريق.

وقد صارت المنطقة أكثر جفافاً أو لنقل باللفظ الصحيح أقل ندى وهذا أمر محمود عند مربي الماشية وزراعة الحبوب ولذلك رأينا قطعاً ضخماً من البقر الكبير الحجم قادماً من منطقة أكثر جفافاً لأنه يعيش هنا أكثر مما يعيش في مناطق الغابات الاستوائية الكثيفة.

وكثرت رؤية الكسافا المنشور على الأرض فقال الشيخ (يوسف نيماق): إنه العذاء الرئيسي للکفار في هذه البلاد ويريد بهم أهل البلاد الأصلاء والا فإنه حلال بلال للمسلمين أيضاً لأنه نبات نافع. وقال إنهم يصدرونه من هذه المنطقة إلى مدينة (بانغي)

ورأيت معه أيضاً الموز الأخضر الكبير الذي يطبخ طبخاً ولا يؤكل كما تؤكل الفاكهة وإنما عندهم موز آخر للأكل صغير الحجم لذذ الطعم.

ثم قلت رؤية البيت على الطريق بحيث بدا جزء من هذا الريف حالياً من السكان فيما يراه المرء من الطريق ماعدا اكواخاً متفرقة بجانبها الكسافا المنشور على الأرض كانه الاشارة المبوسطة لبياض لونه.

ومازالت تماشينا أبراج الكهرباء وإن لم تكن كبيرة وهي قادمة من منطقة الشلالات التي نحن متوجهون إليها ذاهبة إلى العاصمة (بانغي).

وقد بقي على الوصول إلى بلدة (بولي) التي نقصدها حوالي عشرة كيلو مترات وخفت عند ذلك أشجار الغابات وكثرت أعشاب المرعى.

فسألت مرافقي عن ديانة سكان هذه المنطقة فأخبروني أنها

المسيحية وأن الوثنين بعيدون عنها لأن أكثرهم يسكنون في مناطق الغابات الكثيفة.

الجني يسبب الحوادث

شرع الطريق بالصعود إلى تلة غير مرتفعة ثم انعطاف فجأة ليسير في سفحها فقال الشيخ (يوسف نيماقا): الجنـي ينزل السيارة في الحفرة هنا، ومات ناس كثـير بسبب ذلك. وعلـق السائق على ذلك بأن الجنـي يلبـس لباس الشرطة.

وأضاف الشيخ يوسف: إنه أي الجنـي ينظر السيارة القادمة بعينيه فلا يعود السائق يرى هذه الحفرة فيسقط فيها ويموت هو ومن معه في السيارة وعندما استفسرت مستغرباً من الشيخ يوسف عن كيفية معرفة ذلك؟ قال: أنا كنت أبيع الماعز هنا وأنا شاب في القديم وأعرف الموضوع.

وهـنا تيقـنت من أمرـين أولـهما أن الجنـي هذا الذي يواجه نورـ السيارات معـ أنـ الجنـ من جنـود الظـلامـ الذين يـنفـرونـ منـ النـورـ لمـ يـكـنـ فيـ الحـقـيقـ إلاـ هـذـاـ المـنـعـطـفـ الحـادـ فيـ هـذـاـ الطـرـيقـ المـرـتفـعـ الذـي يـصـلـ إـلـيـهـ السـائـقـ فـيـ اللـيلـ وـهـوـ لاـ يـرـىـ إـلـاـ مـاـ يـصـلـ إـلـيـهـ نـورـ سـيـارـتـهـ وـنـورـ لـاـ يـصـلـ إـلـىـ المـنـعـطـفـ إـذـاـ كـانـ السـائـقـ مـسـرـعاـ بـطـيـعـةـ الـحـاجـ.

والثـانـيـ أنـ كـونـ الشـيـخـ يـوسـفـ فـيـ شـبـابـهـ يـسـوقـ المـاعـزـ فـيـ هـذـاـ الـظـالـمـ الذـيـ يـزـيدـ بلـ يـتـكـاثـفـ فـيـ الـأـمـاـكـنـ التـيـ تـكـسـوـهـ الـأشـجـارـ الـكـثـيفـةـ هـوـ مـاؤـحـىـ إـلـىـ روـعـهـ بـكـثـرـةـ الجنـ هـنـاـ وـبـالتـالـىـ جـعـلـهـ يـتـيقـنـ مـنـ صـحـةـ روـاـيـةـ سـائـقـيـ السـيـارـاتـ عـنـ الجنـيـ الذـيـ يـعـذـرـونـ بـوـجـودـهـ عـنـ الـحوـادـثـ عـنـدـ هـذـاـ المـنـعـطـفـ.

ولا ينبغي أن يفهم هذا الكلام على انه إنكار من الكاتب لوجود الجن ولكنه تعليل لروايات غريبة.

في بلدة بوالى

وصلنا بلدة بوالى في تمام الساعة الحادية عشرة ووقفنا في شارعها العام على باائع الشواء وهو يشوى اللحم ويجلس الناس على مقاعد خشبية لا ظهور لها عنده فياكلون وكانت بنا حاجة إلى الراحة فقال الرفاق: لتكن على هذا الشواء ويدت مني كلمة السؤال عن حل اللحم فبادر البائع يقول بعربيه فصيحة: نعم هذا حلال كل الذين يذبحون هنا هم من المسلمين.

وتبين أنه وجميع من في العوانيت من هذه السوق الرئيسي الذي فيه حوانيت قليلة إنما هم من المسلمين ويتكلمون العربية باللهجة السائدة في تشاد وفي شمال الكاميرون.



ال Shawee على الطريق في بلدة بوالى

وأكلنا هذا الشواء الجيد ومعه موز صغير من موز الفاكهة أكلت منه ولم آكل من قطع الكسافا المطبوخة أحضروها ملفوفة في ورقة من أوراق الموز ومربوطة بخيوط من الشجر ولكنها صلبة الملمس تميل إلى الصفرة كأنها عصبة الفتى من الغنم

وكان أصحابنا الأفارقة يأكلونها مع غمسها بفلفل أحمر حار أحضره البائع مسحوقاً لهذا الغرض، وإستعمال الفلفل الحار في أكلها له ما يبرره من كونها كتلة صلبة واحدة تحتاج إلى تفتيت في المعدة وقد بقي منا شيء من الشواء فناديت صبياً كان ينظر إلينا من دون أن يتكلم فسألته عن اسمه فقال إبراهيم وهي تسمية خاصة بال المسلمين في إفريقيا كما هو معروف فأكل معنا من الشواء وذلك كله بألف فرنك إفريقي غربي.

أما الشاي فإنه كان محفوظاً لدى صبي له في وعاء لحفظ الأشياء الحارة يسكب منه في كؤوس صغيرة من المعدن يغسلها في وسط ماء قليل ثم يعيد غسلها فيه مرة ثانية وثالثة وهذا تلوث أكثر منه غسلاً وهو ما كان معمولاً به لدينا في الbadia في القديم وقد أحضروا ماء جديداً غسل به أحد الكؤوس وسقونى به.

وقد رأيت أحد الجنود وهو يصغي إلى ما نقوله باهتمام ومظهره مظاهر أهل البلاد الأصلاء من ناحية اللون فهو شديد السواد وقد شارك بالحديث بعربيه بصيحة كأنما هو من السودانيين وأوضح أن اللحم هنا كله يذبحه المسلمون ثم أخذ يتحدث معنا بالعربية عن شئون المسجد الذي كان قريباً منا على الشارع الرئيسي نفسه وتبين أنه أحد الأخوة المسلمين .

إلى شلالات بوالي

تعمدنا تأخير زيارة مسجد بوالي وتصويره إلى ما بعد الرجوع من رؤية السد لثلا يفسر ذلك على أن زيارتنا هي لأمر آخر. وبعد السد ستة كيلو مترات عن بلدة (بوالي) نفسها.

سرنا إليه مع طريق غير مزفلت وإنما هو معبد اى مرصوص قد بعد عهده بالتعهد لذلك يعاني منه الراكب وسيارته تعباً مع أنه طريق مطروق من السياح والزوار الأجانب ومع كون الطريق الممتد إلى بوالي هو مزفلت زفلة جيدة.



الطريق بين بوالي، والشلالات

واخترق الطريق تللا غير بالغة الإرتفاع رأينا فيها السكان الوطنيين الأفريقيين الاستوائيين الخلص بخلاف من رأيناهم في السوق قبل قليل فكان منهم أناس من السودان الغربي وأهل تشاد ثم وصلنا الشلالات التي سميت بشلالات بوالي على تسمية النهر التي هي جزء من مياهه وبه سميت البلدة نفسها التي كنا فيها قبل قليل.



النزول إلى الشلال



مع الشيخ يوسف نيماق على القناة الاصطناعية

و قبل الوقوف على الشلالات إجتنزا ونحن نسير على أقدامنا بقناة صغيرة مصطنعة كانوا قد أقاموها من أجل توليد الكهرباء من مساقطها بخلاف بقية النهر ومنه هذه الشلالات فهي متروكة على طبيعتها.

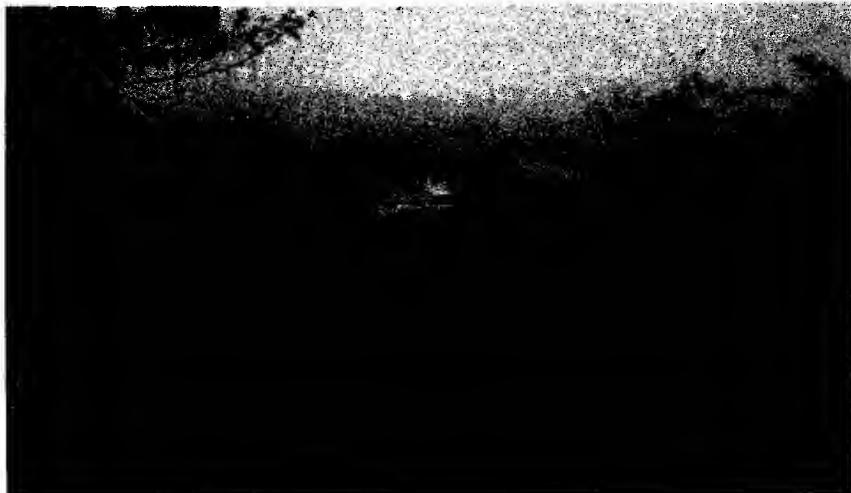
والشلالات صغيرة لأن جزءاً من مياه النهر كما قلت قد حول لتويلid الكهرباء ولكنها جميلة لأنها تسقط من مكان عال على مكان صخرى ولذلك فهي بالنسبة الي ليست كما تصورتها لأنني شاهدت في السابق شلالات كثيرة عظيمة في العالم كان آخرها قبل شهر شلالا عظيما في بلدة (كاناياما) في فنزويلا. ولكن المياه هنا على قلتها تسقط متفرقة فيكون لها منظر انيق.



عند جزء من الشلال

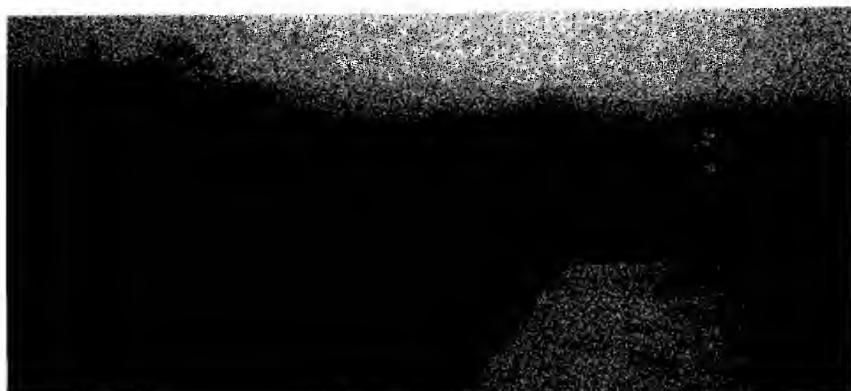
وبعد التقاط صور متعددة في هذه الشلالات جلسنا تحت مظلة من الخشب والقش فيها مائدة محاطة بالكراسي وهي جزء من مقصف تابع لفندق صغير على شفير هذا الجبل الذي تسقط منه الشلالات ويشرف على الوادي الذي تؤلفه هذه المياه بعد استقرارها في الأسفل. ومن اللطيف أنهم كتبوا على كل مظلة من هذه المظلات وهي متعددة إسم مدينة من مدن بلادهم فواحدة اسمها (بانقي) والآخرى (موباي) والثالثة (كمبي) وهكذا.

وقد وضعوها فوق الشلالات في قمة الجبل حيث يدغدغ الآذان صوت المياه المتساقطة بحنان مع أن الخيال قد يصور ذلك بأنه أنين او حنين من خشية السقوط في الحضيض.



في المرتفع المطل على الوادي

ولما أبديت ملاحظتى على قلة مياه النهر قال الشيخ يوسف: إنه يكون في الخريف كثيراً أما الآن فان هذا الوقت ليس وقت الأمطار. ويريد بالخريف إبان سقوط المطر.



على شفير الوادي المفعم ببخار الماء حيث يتتساقط الشلال. ويجري النهر

ومع ان الشمس صاحبة والمنطقة استوائية ونحن في شدة القائلة فان الارتفاع القليل في هذه التلة من المنطقة التي تسقط منها المياه قد لطف شدة الحر فصار الهواء نسيماً عليلاً إلا أنه لابد من الاهتمام بالظل من الشمس.



نهر بوالي كما يبدو على البعد

وشرينا أشربة باردة ولم نر في هذا المكان الجدير بالزيارة احداً إلا اوربياً وامرأته في شرفة الفندق الصغير المجاور للشلال.

ويقع الشلال في منطقة لقبيلة (آري) إحدى القبائل الاستوائية وهي بأغلبيتها من الكفار.

وعند الشلال قرية صغيرة التقrott صوراً لها لم أر فيها من الحيوان إلا دجاجاً سارياً من النوع المعتمد.



الشيخ الدكوري والشيخ نبياً عند جانب من الشلال

مسجد بوالي:

عدنا أدراجنا إلى بلدة (بوالي) لمشاهدة مسجدها الجامع بل هو المسجد الوحيد فيها. وقد وقنا عند لافتته بينما كان أحد الصبية ينادي الإمام ونص اللائقة بالعربية: (مسجد النور بمحلية بوالي: كرم . ج ١. الوسطى) وفوقها الكتابة بالفرنسية.

ثم حضر الأخ (حسن هارون آدم) من تشناد وقال: إنه نائب الإمام في المسجد في صلاة الجمعة. وغنى عن القول لما سبق أن كررناه من أن أمثاله التشناديين يعرفون العربية.

وذكر أن عدد المصليين في أوقات الصلوات اليومية في حدود الخمسين وفي صلاة الجمعة ما بين اربعين إلى خمسين. وقال: إن هذا المسجد بني قبل عشر سنوات وكان المسجد قبل ذلك بناء صغيراً في ناصية مقابلة من الشارع.

كما ذكر أن المسلمين هنا أصولهم من السودان وتشاد والكاميرون وإن عددهم يبلغ حوالي ١٠٪ من سكان البلدة وهذا العدد هو الذي كان قد قاله لنا الجندي المسلم من قبل وهو أن نسبة المسلمين في (بواли) تبلغ ما بين ١٠٪ إلى ١٢٪ والمسجد مبني بالطين ومطلي بالجص ومسقف بالصفيف وأعجب من ذلك فناءه الخارجي أي الحوش فهو ليس من الطين وإنما هو من الأعواد الرثة وأما فراشه فإنه من الحصر المصنوعة في هذه البلاد.



**المؤلف والشيخ يوسف نيباق عند لافتة المسجد
على فناءه الخارجي من الحصر والأعواد**

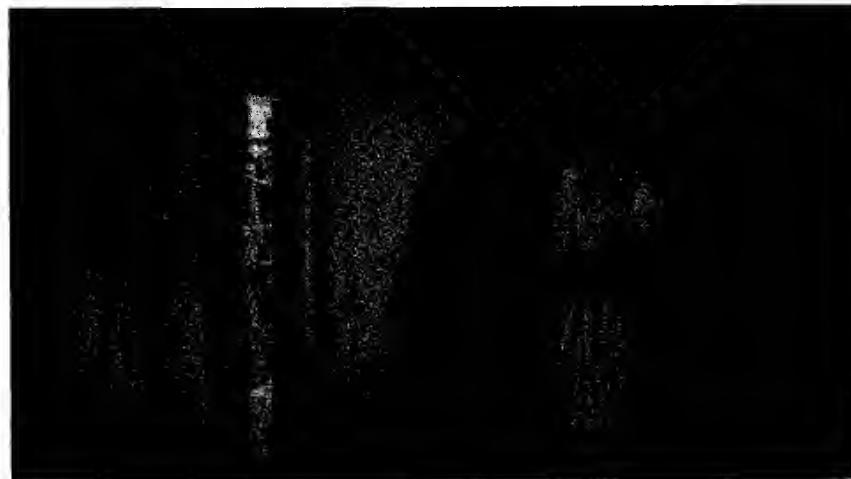
وقد انضم إلى الأخ حسن هارون عدد من المسلمين وقالوا إنهم لم يتلقوا مساعدة من أحد على بناء المسجد ولا على نفقته بعد ذلك مع أن النفقة هنا قليلة لأنه لا كهرباء فيه وإنما رأيت مصابيح الزيت مرفوعة في المسجد.

ومن المؤسف أننا رأينا عند محراب المسجد حرقة موضوعة بجانب المصباح الذي عرفها الشيخ الدكتور وسائلهم عنها فقالوا: هي



الشيخ الدوري مع بعض الصبية من المسلمين عند باب المسجد في بوالي الدايرة للوظيفة والوظيفة هي حلقة الذكر التي تقيمها التيجانية في المسجد.

وهكذا لم يجدوا من ينبههم إلى أن ذلك ليس له أصل من السنة النبوية المطهرة.



مع أحد الآخرين داخل مسجد بوالي يحمل أحدهما خرقة الدايرة حلقة الذكر

العودة إلى بانقى

تركنا بلدة (بوالى) آسفين على حالة المسجد من ناحية المظهر وعلى حالة بعض أهله من ناحية الجهل بالسنة.

ولكن الشيخ الدكوري قال: إن للموضع وجهاً مشرقاً آخر. فأنا أرى في وجود هذا المسجد في هذه المدينة البعيدة عن العاصمة ومن دون مساعدة من أحد من المسلمين من خارجها ما يحمل على العجب من إنتشار هذا الدين الإسلامي وإنتصاره على غيره وبخاصة في عقول المواطنين من أبناء الشعب وهذا مصدر إزعاج دعاة المسيحية الذين يملكون من مقومات الدعائية ما لا يملكه المسلمون ومع ذلك فإن بعض المسيحيين يدخلون في الإسلام والله الحمد.

والعنابة بأمر هذا المسجد واجهة لأن كلمة كرزم بالفرنسية تعنى (مفترق طرق) وهذا هو موقع هذه البلدة ولذلك تبغي العناية بالمسجد وجعله في المستقبل مرکزاً للدعوة إلى الله سبحانه وتعالى.

وبعد حدود الكاميرون من بلدة (بولي) ستين كيلو متراً، أما حدود السودان فانها أبعد من ذلك بكثير إذ تبلغ أربعين كيلو متراً وعند الانصراف من (بولي) أوقفنا رجال من رجال الشرطة ثم سمحوا بالانطلاق بعد أن اطلاعوا على أوراق السيارة وسائقها.

ونظرت في اللافتة التي على الطريق فإذا بها تقول: إن مدينة بانغي
تبعد ثلاثة وسبعين كيلو متراً.

وصلنا لفندقنا (فندق رك) أو الصخرة في الساعة الرابعة عصراً، وفي الرابعة والنصف بينما كنت أريد أن أكتب في المقصف على شاطئ

النهر حضر إلى جماعة من الاخوة من المشايخ والمعلمين كانوا قد سمعوا بقدومنا أخبرهم بذلك بعض من قابليهم من قبل فجلسوا فترة في نقاش حول بعض الامور المتعلقة بالمدارس الإسلامية والمساجد. وكان هذا مدعاه استغراب للأوريين الذين كانوا في المقصف من سياح وعاملين إذ حضر هؤلاء الاخوة بملابسهم العربية واثنان منهم عليهم العباءات أيضا ولم يكن منظرهم في مثل هذا المقصف مألوفاً لأنهم لا يرتادونه في العادة.

في السوق السنغالي

كنت سألت عن بعض الاشياء التي توجد في هذه البلاد ويمكن أن يشتريها السائح من العاج والحقائب المصنوعة من جلد التماسيح والحيات وهي تكثر في العادة في بلاد الغابات مثل جمهورية إفريقيا الوسطى فأخبرونا أنها موجودة بكثرة في سوق خاص بها اسمه السوق السنغالي لأن معظم البائعين فيه هم من السنغاليين في الأصل وإن كان من بينهم الآن من هم من غير السنغاليين من أهل السودان الغربي. ويقع في الحي التجاري الجيد من العاصمة لأن رواده في العادة يكونون من السياح الغربيين وهو سوق على هيئة حوانيت محيطة بميدان واسع تقف فيه السيارات فرأيت بضائعهم أنواعاً منوعة من العاج وما صنع منه وكذلك من الحقائب النادرة يضاف إلى ذلك بعض الاحجار نصف الكريمة المجلوبة من زاير وغيرها من أنحاء إفريقيا.

ويقال: إن الماس يباع أيضاً في هذا السوق الذي لا يدل مظهره على هذه الأهمية ومن الملفت للنظر أن معظم البائعين فيه يرتدون الملابس العربية التي أكثرها ظهوراً القمص الشبيهة بال سعودية وأكثرهم يعرفون العربية أيضاً لأنني قد تحدثت إلى طائفة منهم.

إلا أني لاحظت ظاهرة غير جيدة عند بعضهم وهي رفع سعر السلعة أكثر من سعرها الحقيقي عندما يسأله متى الشراء عن قيمتها فإذا ما رفض الشراء بهذا السعر فإنه يحاول أن يغريه بخفض الشمن وهكذا.

وهي طريقة مستعملة في البلدان الشرقية لكنها غير مألوفة في الغرب وإنما المألوف أن تكتب قيمة السلعة عليها فمن شاء اشتري بتلك القيمة أو ترك دون مماكسنة.

وبعد المغرب كرر الزيارة بعض الأخوة من أئمة المساجد والمدرسين في الكتاتيب الإسلامية وكنا قد رتبنا لقاء مع شخص سياسي مهم من مسلمي هذه البلاد وهو الأخ (إسماعيل نيماقا) السفير السابق لجمهورية إفريقيا الوسطى في بغداد وممثلها في الخليج العربي وكان قد قضى في بغداد أربع سنوات، وصار خيراً في شئون المنطقة ولذلك عينته حكومته مسؤولاً عن الشئون الإسلامية في وزارة الخارجية عندما عاد قبل وقت قصير إلى بلاده. كما سبق أن زار المملكة العربية السعودية بصحبة وزير الخارجية السابق لهذه البلاد وهو أحد المسلمين وأسمه (صالح) ولكنه تعلم في مدرسة مسيحية فغيروا اسمه إلى اسم مسيحي ويشغل الآن منصباً هاماً في الدولة هو الأمين العام للحكومة يمعني أنه المسؤول عن تنسيق العمل بين الوزارات المختلفة في هذه الحكومة.

وقد حضر الأخ السفير (إسماعيل نيماقا) إلا أن جلوس هؤلاء الأخوة منعنا من بحث ما نريد بحثه معه فاتفقنا على موعد جلسة أخرى تكون في بيته صباح غد قبل سفرنا.

يوم الثلاثاء ١٤٠٥/٥/٢٢ هـ ١٩٨٥ م.

أحوال المسلمين

حزمنا أمتعدنا مبكرين وفي الثامنة صباحاً كنا نغادر الفندق تحمل
أمتعدنا سيارة للأخ السفير اسماعيل نيماقا الذي كان قد دعانا إلى بيته
أمس.

وتقع بيته في حي راق من ضاحية بعيدة عن قلب المدينة ويتألف
الحي من دارات (فيلات) ذات حدائق جيدة لأن المنطقة كانت منطقة
غابات وأشجار كثيفة قبل اتخاذها منازل إلا أنه لا إزفلت في شوارعه.



مع الشيخ اسماعيل نيماقا في بيته

استقبلنا الأخ اسماعيل وكلمنا بعربيه فصيحه لا تستغرب من أمثاله
من المسلمين إضافة إلى كونه عاش في البلدان العربية فترة.

وجلسنا معه جلسة مفيدة بل هامة إذ سمعنا منه أشياء جديدة عن
أوضاع المسلمين في هذه البلاد كما سمعنا منه تاكيداً لما كنا قد
سمعناه من قبل.

قال من بين ما قاله: إن رئيس البلاد قد فوضه من خلال عمله الأخير في تقوية العلاقات بين بلاده والبلدان العربية الإسلامية. وقال: إن أهم مشكلة تواجه الدعوة الإسلامية هنا هو اختلاف المسلمين في عملهم وعدم وجود مؤسسة أو جمعية واحدة تجمعهم ويمكن أن تتكلم باسمهم لدى الحكومة ولدى المسلمين في الخارج.

ثم أخذ يحدثنا عن المسلمين حديث العارف بل الخبر لأنه كان قبل أن يسافر إلى بغداد مسؤولاً عن الشئون الدينية كما كان مسؤولاً عن الأمن في البلاد فكان مما قاله أيضاً: كان الرئيس السابق (دافيد داكو) يحب المسلمين ويزورهم في المسجد وقد أمرني بإحصاء المسلمين فعلمـنا أن نسبتهم تبلغ بين مواطنـي جمهـوريـة إفـريـقـيـة الوـسـطـى الأـصـلـاء ١٧٪ كـما كـانـتـ نـسـبـةـ الـمـسـلـمـينـ الـمـهاـجـرـينـ فـيـ ذـلـكـ الـوقـتـ إـلـىـ بـلـادـنـاـ عـالـيـةـ جـدـاـ. وبـذـلـكـ كـانـتـ نـسـبـةـ الـمـسـلـمـينـ فـيـ الـبـلـادـ عـامـ ١٩٨١ـ تـبـلـغـ ٣٢٪ـ.

وهذا كان قبل نشوب الحرب الأهلية في تشاد وقدم حوالي مليون ونصف مليون من تشاد إلى هذه البلاد وهم من المسلمين.

وعلى هذا تصبح نسبة المسلمين الآن في جمهـوريـة إفـريـقـيـة الوـسـطـى بين مواطنـين أـصـلـاءـ وـمـهاـجـرـينـ مـاـلاـ يـقـلـ عـنـ ٦٠٪ـ حـسـبـ التـقـدـيرـاتـ غـيرـ المـبـالـغـةـ، لـأـنـ اـهـلـ تـشـادـ يـؤـلـفـونـ الـآنـ الصـفـ تـقـرـيـباـ مـنـ السـكـانـ وـيـقـيمـونـ فـيـ أـنـحـاءـ عـدـيـدةـ مـنـ الـبـلـادـ.

قال: وما الرئيس الحالي وهو (بول بيا) فإنه سمعه يقول: أنا مبسوط من المسلمين وأكون معهم دائماً.

وقال: ومن الموظفين الرئيسيين في الدولة ثلاثة وزراء هم صالح المتقدم ذكره ووزير الاقتصاد ووزير الداخلية ومدير تدريب الموظفين (صالح ابو بكر).

وقال: لا أشك في أن المستقبل في هذه البلاد هو للإسلام ففي كل وقت يدخل أناس من الوطنيين في الإسلام.

وقال: ومن الملاحظ أن الدخول في الإسلام لا يقتصر على الناس البسطاء بل انه يدخل في الإسلام اناس متعلمون ومثقفون.

وقد الححت عليه في ان يبين الاشياء التي ينبغي أن نعمل نحن وامثالنا في التعاون عليها من أجل رفع شأن الإسلام والمسلمين في هذه البلاد فقال: المهم هو تأسيس مدرسة إسلامية نظامية واصلاح المساجد والمدارس القرآنية ومدتها بما تحتاج إليه لأنها هي التي تعلم العربية وبدون معرفة اللغة العربية لا يستطيع المسلم أن يفهم دينه فهما صحيحاً مباشراً من مراجعه الأصلية.

وقال: إن المسلمين يحتاجون إلى دعاة ومدرسين لتعليم الدين ومنح دراسية لابناء المسلمين.

وانطباعي أن ما ذكره عن نسبة المسلمين في البلاد هو من باب التفاؤل ومحبة المسلم لقوية اخوه المسلمين في العدد وإنما لا يبلغون هذه النسبة مع تقديرني لتحريري الصواب وأنه أعلم مني في هذا الأمر لأن البلاد بلادهم وهو متتابع للموضوع منذ وقت طويل.

مغادرة إفريقية الوسطى.

ودعنا الأخ اسماعيل نيماقا شاكرين متوجهين إلى المطار فوجدنا فيه طائفة من الأخوة من أئمة المساجد والعاملين في المدارس الإسلامية ومع بعضهم أوراق فيها طلبات لمساعدة مدارسهم ومنهم الشيخ محمد باشر وهو قاضي المسلمين في الأحوال الشخصية والصلح بينهم معترف به من الحكومة كما أنه مأذون أنكحة معتمد أيضاً وهو صاحب مدرسة إسلامية اسمها (مدرسة النصر) قال لي أحدهم: إنها أول مدرسة إسلامية افتتحت في هذه البلاد ولا أدرني صحة ذلك.

ثم دخلونا إلى غرفة كبار الزوار أو ما يسمى بصالون الشرف ولم يكن هذا رغبة مني لأنه يحرمني من مشاهدة جماهير الناس وكيفية تصرفهم في أمورهم وكيفية معاملة الموظفين لهم.

وقد استقبلنا رئيس المراسم في المطار في الغرفة التي دخلناها عند القدوم وكانت مليئة بزوار رسميين من وزراء وغيرهم ثم دخل سفير زاير في هذه البلاد ويتميز مظهره إضافة إلى القصر المعتاد فيهم بما يوحى بالتعاظم والتكبر وهي شتننة معروفة في كبار الموظفين من أهل (زاير).

وبينما كنا نتناول المرطبات في الغرفة كنا نشاهد الطائرات الحربية الفرنسية العديدة رابضة في ركن من المطار وحولها عدد قليل من الجنود الفرنسيين وذلك لأن في إفريقيا الوسطى قاعدة عسكرية فرنسية مهمة.

ثم صعدنا إلى طائرة الشركة الفرنسية المسماة (ايتي) وهي شركة رديفة للخطوط الفرنسية الرئيسية (ایر فرانس) ولكنها تعمل في مناطق معينة من العالم.

وطائرتها من طراز (دي سي ١٠) الضخم ولم يكن معنا في الدرجة الاولى إلا رجلان عليهم مظهر الأوربيين.

وقامت من مطار (بانقى) في الساعة الواحدة والربع ظهراً قاصدة مطار (إنجامينا) في تشاد واعلنت المضيفة الفرنسية وكل المضيفات فيها من الفرنسيات ان المسافة الى (إنجامينا) هي ساعة وعشرين دقيقة. ولم يكن في هذه الطائرة الفرنسية الكبيرة ما تمتاز به من الضيافة أو حتى الخدمة الجيدة ومن ذلك أن ضيافتهم كانت قطعاً صغيرة من الشطائير (الساندوتش) في القطعة الكبيرة منها لحم خنزير مع انهم يعلمون أن نسبة كبيرة من ركاب الطائرة هم من المسلمين.

واذكر بهذه المناسبة أنني ركبت مرة مع الخطوط الفرنسية من باريس إلى جدة عن طريق أثينا فسألت مضيف الدرجة الاولى من باب الاحتياط عما إذا كان الطعام خالياً من لحم الخنزير فقال: إننا لا نضع لحم خنزير على امثال هذه الرحلات المتوجهة إلى جدة.

و كذلك سألت مضيفاً آخر في الدرجة الاولى من طائرة لهم أيضاً كنت مسافراً معها من مدينة كراتشي في باكستان إلى مدينة (بكين) عاصمة الصين فكان جوابه مثل ذلك.

لقد ارتفعت الطائرة ولم يكن الجو صافياً لذلك لم يكن في الرحلة إمتاع.

فرق تشاد

بعد ساعة من الطيران رأينا على بعد نهر (شاري) الذي تقع عليه (إنجامينا) عاصمة تشاد ويفصل النهر بينها وبين شمال الكاميرون من الجهة المقابلة لمنطقة العاصمة:

ومنظر النهر لمجرد كونه نهراً في بلاد تشكو من مجاعة، وينزح
اهلها إلى البلاد المجاورة طلباً للطعام وهرباً من الجوع بسبب الجدب
وانحباس الأمطار سنوات متالية أمر له معنى إذ كيف يجتمع نهر جار
ومجاعة من قلة الطعام؟

وقد يقال: إن هذا النهر صغير والبلاد واسعة وامكانيات اهلها في
إستغلال النهر قليلة وهذا صحيح ولكن الصحيح أيضاً أنهم لم يستغلوا
هذا النهر كما ينبغي بدليل أنتي رأيت بعض ضفافه من الطائرة عارية
من النبات تماماً. بمعنى أنه ليس عليها زراعة.

وأما منظر المنطقة فانه كان مفاجئاً لأنه عكس ما كان عليه المنظر
في الكاميرون وفي إفريقيا الوسطى فهو هنا صحراوي على بعد مغرب
النواحي بخلاف القطرين الأولين فهما من أقطار الغابات الاستوائية
المختلفة والخضرة الشاملة بل الكثيفة.

على أن منظر البلاد في هذه المنطقة تشداد هو أحسن من منظر
الصحراء في بلادنا أو بلاد موريتانيا مثلاً لأن المنطقة عامرة باشجار
صحراوية كبيرة تشبه أشجار الطلع على بعد وقد تكون مثلها في
الحقيقة او تكون هي هي.

ولكن الشيء الواضح جداً أن الأفق نفسه حال من بخار الماء الذي
يرى من الطائرة في آفاق البلدين تركتهما فهو هنا صحراوي ليس
فيه إلا الغبار.

ورأيت بوضوح آثار الوديان الجافة التي كانت تجري بالمياه اذا
كثر المطر ولم يبق فيها إلا الرمال كالتي تكون في بطون الأودية في
الصحراء في العادة.

ولقد قلت لنفسي: اذا كان هذا هو شأن الجنوب التشادي الأكثر خصباً لانه واقع في منطقة الساحل التي يراد بها ساحل الصحراء اي طرفها مما يلي الارضي الخصبة كيف تكون حال الشمال من تشاد الذى هو واقع في الصحراء نفسها؟

ثم ذكرت في نفسي ما تخيلته من ان التصحر سوف يستمر في الذهاب إلى جهة الجنوب نتيجة لتغير مناخ الارض. ولكن الخصب سيقدم من الشمال وستكون أطراف الصحراء جهة الشمال أكثر خصباً بعد سنتين لا يعلم قدرها الا الله تعالى.

وذلك انسجاما مع قاعدة تغير الجو وتبدلاته على مدى القرون الطويلة ذلك التغير الذي جعل هذه الصحراء الافريقية الواسعة على ما هي عليه الان من الجدب وقلة الامطار بعد أن كانت في ماضي السنتين عامرة بالحيوان كثيرة المياه والانهار والله في خلقه شئون واذا اراد شيئاً فإنما يقول له كن فيكون.

ولكنتني في هذا الامر قد طرأ على ذهني شيء تذكرته كنت قد عرفته من أهل إفريقيا الوسطى وهو أن عامة اللحم الذي يأكلونه مستورد من تشاد يعني ان تشاد لا تزال رغم الجفاف ترسل حيوان اللحم إلى إفريقيا الوسطى ذات الغابات والامطار بل ذات الانهار.

وذلك بسبب عدم ملائمة جو الغابات لتربيه الماشية عند قوم ليست لديهم إمكانات التحسين للبيئة أو تطهيرها من الأمراض و الاعراض التي تصيب الحيوان.

كما أن حاجة أهل تشاد إلى هذه الماشي جعلتهم يحافظون عليها وينمونها بحسب ما تسمح به ظروف بلادهم.

وإذا كان الامر فان المحل والجدب المسى بالجفاف في هذه المناطق هو أقل مما هو موجود في صحرائنا العربية ما خلا الواحات وكذلك هو اقل من الم محل والجدب الموجود في الصحراء الموريتانية بكثير كما تقدم.

ولذلك سألت نفسي وأنا أرى نهر (شاري) يجري بالمياه عما يكون عليه الأمر في مثل هذا النهر لو كان في بلادنا وكيف تستغله إلى بعد حدود الاستغلال بعد ان ندون له تواريخ طويلة عريضة ونفرضه بقصائد شعرية كثيرة ربما تصل إلى دواوين.

وكنت استعد لتهيئة (مصورتي) لالتقاط صورة لنهر شاري إلا انني سمعت المضيفة وهي تقول من مكير الطائرة: ارجو من حضرات الركاب أن يلاحظوا أن التصوير هنا ممنوع.

وهذا من آثار الحرب الأهلية التي تقسم التشاديين وتفصل شمال البلاد عن جنوبها في الوقت الحاضر.

في مطار انجمينا:

حامت الطائرة فوق المنطقة التي تحيط بمطار(انجمينا) فتجلت على طبيعتها وهي مليئة بالأشجار الصحراوية الكبيرة ولكنها جافة إلا بعض الاشجار الكبيرة الواقعة في بطون الودية، واتسع مجاري نهر (شاري) عند النظر إليه من قرب أكثر مما كان عليه قبل ذلك فبان زاخراً بالمياه، يشكو الضياع والإهمال.

وظهرت البيوت في هذا الريف الصحراوي مبنية بالطين لا ترى على البعد لأن لونها هو لون الأرض

ثم هبطت الطائرة في المطار وهو طويل المدرج أكثر سعة مما تخيلته ومما رأيته عليه قبل عشر سنوات خلت إلا ان الإزفلت فيه تشقق أكثره ولا شك في ان سبب ذلك هو العوامل الجوية القاسية المتذبذبة ما بين جو جاف وجو رطب في أوقات الموسم حتى وإن لم يكن مطيراً إضافة إلى شدة حرارة الشمس في المنطقة.

ومن مدرج المطار يرى المرء أشجاراً صحراوية وانحرى مسقية حضراء إلا انها لا تبعد كثيراً عن ضفة النهر.

وكان اهم مظاهر العناية في هذه العاصمة المسلمة المنكوبة بالحرب الاهلية وجود ثلاثة خزانات للمياه مبنية من الاسمنت المسلح القوي وبهيئة معتمى بها وعلى طراز حديث بحيث يشبه الواحد منها القمع أي (المحقق).

وفي المطار طائرات حرية عدة. وطائرة مدمرة ترى على بعد. أما برج المطار فانه يبدو جيد المظهر بل على غاية الجودة وهو عكس ما تخيلته عليه: وقد أحست عند النزول من الطائرة بأن الجو هنا كالجو في شمال نيجيريا وجنوب المملكة في الشتاء حيث تكون الشمس حارة والهواء عكس ذلك.

وشعرت بنشاط عظيم لجفاف الجو وخفة الهواء بعد جو وسط إفريقية الحار الرطب بل المثقل بالرطوبة.

وقال لي زميلي ورفقي الشيخ الديكتوري إنه شعر بمثل هذا بالفعل بل قال بعد ان لبثنا في المطار فترة إنه كان يحس بشغل في كتفيه من اثر الجو الرطب في وسط إفريقية وإنه باحسن أنه قد زال الآن.

على أتنى فسرت الامر تفسيراً آخر وهو أنه ربما كان هذا من وحي الخيال الذي أوحى اليها بأننا وصلنا بالفعل إلى بلاد مسلمة شقيقة فنحن في الحقيقة نشعر انها مثل بلادنا وأن هذا هو مصدر الراحة رغم ما يسببه تذكر ما فعلته الحرب الأهلية في اهل تشاد من آلام.

وكان أول ما شد إنتباهي أن الجنود الذين كانوا كثيرين في المطار سمعتهم يتكلمون العربية ثم دخلنا إلى بناء المطار وهو بناء حديث جميل كل ما فيه ينطوي بالذوق بل وبملاحظة الاصلاح والترميم فيه رغم حالة الحرب الأهلية ولأدري متى بني ولا من ساعد على بنائه ولكنه على أية حال قد بني حديثاً.

جلستنا في قاعة العابرين (الترازيت) لأننا من المسافرين العابرين إلى مدينة (نيامي) عاصمة النيجر وهذه القاعة أحسن كثيراً من قاعة العابرين في مدينة بانقى التي جئنا منها.

وكنا سألنا عن الطائرة التي سننافر بها إلى (نيامي) عاصمة النيجر وهي طائرة الخطوط الافريقية (إيرافريك) فأخبرونا أنه قد بقي على وصولها حوالي نصف ساعة.

ذكريات تشاد.

إنصرف صديقي الشيخ الدكوري مع أحد الموظفين المسؤولين في المطار من أجل التأكد من وصول الحقائب وتحويلها إلى الطائرة الإفريقية القادمة وبقيت في قاعة العابرين أجتر ذكرياتي القديمة عن (تشاد).

وليس هذا بمكان الحديث عنها حديثاً مفصلاً فقد زرتها قبل عشر سنوات بالضبط متذكرة ل لإطلاع على أحوال مركز الفيصل الذي كانت

تقييمه المملكة العربية السعودية في العاصمة (إنجامينا) ولم يكن قد اكتمل آنذاك عام ١٣٩٥هـ — ولم يكن يومها في تشاد حرب أهلية إلا في الشمال القصي أما العاصمة فإنها كانت مستقرة وكان السفير السعودي آنذاك هو الأخ الاستاذ النبيل: «عباس فائق غزاوي» وقد تجلى نبله في أمور كثيرة من أهمها عنایته بشئون المسلمين وعنایته بي عندما وصلت إلى هذه البلاد التشادية فتعاونا على إنجاح المهمة التي قدمت إلى تشاد من أجلها

كما أعطاني سيارته ومعي بعض الموظفين في يوم أحد فسرنا إلى داخل الكاميرون حيث وصلنا (مروي) وتوغلنا مسافة مائة وخمسة وأربعين كيلو متراً داخلها عن طريق البر وكنا حملنا السيارة على عبارة فوق نهر (شاري) هذا إلى أرض الكاميرون.

ويومها قلت للذين سألوني عن رأيي في تشاد عندما عدت منها: إنه إذا استمرت الأمور على ما هي عليه في تشاد فان البلاد ستصبح عربية اللغة بعد عشر سنوات.

واليوم وقد مضت السنوات العشر بالضبط ولم تستمر الأمور على ما كانت عليه من الاستقرار سواء في منطقة العاصمة أو في غيرها من أنحاء البلاد فإن اللغة العربية أصبحت هي اللغة الشائعة في تشاد وهي المشتركة التي يتفاهم بها المواطنون حتى الذين منهم يتكلمون بلغات محلية أخرى.

ومن المظاهر الغريبة في المطار أن اللغة العربية التي كنا نسمعها من أفواه الناس لا نقرأها مكتوبة على اللافتات لأن الكتابة كلها بالفرنسية

ولم يتخذ أهل تشاد اللغة العربية لغة رسمية أولى لهم وكتت ارقب الناس من خلال حاجز زجاجي يفصل بين قاعة العابرين وقاعة المسافرين فرأيت الضابط المسؤول عن الصحة وهو رجل مهم بدليل أنه يجب أن يرى جواز أى مسافر وأوراقه رأيته يرتدي قميصاً عربياً بل سعودياً وطاقة وليس عليه غير ذلك مع أنه يؤدي عمله الرسمي في المطار وأمام المسافرين والزوار من المواطنين والأجانب إلا أن المذيع كان يذيع في المطار أغاني غربية وأخرى عربية محلية باللغة العربية تشبه الأغاني السودانية.

وعندما خرج الركاب العابرون من الذين سيسافرون مع الطائرة الفرنسية التي قدمنا بها دخل من الباب ذباب صحراوي ملح — من الالاح وليس من الملاحة بالطبع — فآذاني بطرده.

وهذا مظهر صحراوي ولكن هناك مظهراً صحراوياً آخر وهو النحافة الظاهرة على الجنود وبعض الموظفين في المطار كما يكون عليه الحال بالنسبة إلى سكان الصحراء في الغالب.

وشيء آخر يشهد لذلك إن كان الأمر يحتاج إلى شهادة ولكنه من خارج القاعة وهي ما نسميه في لهجتنا العامية (المعاصير) وهي الأعاصير بالفصحي إلا أنها ليست الأعاصير البحريّة المعروفة عند كتاب الصحف فهذه التي رأيتها الآن خارج مدارج المطار في الأماكن الصحراوية كنت أرى مثيلاتها في بلادنا في منتصف النهار وهي غبار واقف يلتف حول نفسه وهو يسير تشيره رياح صحراوية خفيفة. ثم غادرنا مطار انجمينا مع الخطوط الافريقية إلى نيامي عاصمة النيجر وللرحلة إلى النيجر حديث في كتاب آخر عنوانه: «أيام في النيجر»

- ملاحظات على الوضع الإسلامي في جمهورية إفريقيا الوسطى :**
- أولاً** : حرية الدعوة إلى الإسلام في جمهورية إفريقيا الوسطى وعدم وجود قيود عليها سواء من ناحية الحكومة أو عامة الشعب.
 - ثانياً** : كثرة عدد المسلمين بحيث يبلغ عددهم ما بين مهاجرين وسكان أصليين ما لا يقل عن ٥٥٪.
 - ثالثاً** : انتشار اللغة العربية على أيدي الأخوة المسلمين المهاجرين من تشاد هرباً من الحرب الأهلية أو المجاعة الناتجة عن الجدب أو لمجرد الحصول على فرص العمل.
 - رابعاً** : تدني حالة المساجد والمدارس من حيث البنية والاثاث إذ اكثراً مبني بالطين ومسقف بالصفائح وليس لمعظم المدارس مرتباً وإنما يجمعون في العادة ما يتلقاونه من أولياء أمور الطلبة الأغنياء وهو قليل ويتقاسموه بينهم.
 - خامساً** : عدم وصول مساعدات مالية من أية دولة عربية أو إسلامية ما عدا بعض التبرعات التي قدمها السفير السعودي في الكاميرون عبد الرحمن العقيل لعمارة بعض المساجد والمدارس الملحوقة بها، ومسجد حي مسكن في العاصمة (بانقى). ولا يزال الأثر الطيب في نفوس المسلمين لزيارة السفير باقياً وإن كانوا يتطلعون إلى المزيد من مساعدات المملكة.
 - سادساً** : يتطلع المسلمون من سياسيين ورجال دين إلى المملكة العربية السعودية لتنمية الصلات وانتظار المساعدات والعون الإسلامي.
 - سابعاً** : علمنا أنه لا وجود للشيوعية أو الاتجاهات اليسارية في

حكومة جمهورية إفريقيا الوسطى بل في البلاد كلها ولذلك ننصح بتقوية العلاقات مع هذه الدولة تقديرًا لموقفها الطيب من المسلمين في البلاد سواء أكانوا من المواطنين أم من المهاجرين.

وكذلك الأثر الحميد لزيارة وزير خارجية إفريقيا الوسطى سابقاً إلى المملكة والامتنان للمساعدة الاقتصادية التي قدمتها المملكة إلى إفريقيا الوسطى.

الاقتراحات:

أولاً : ارسال وفد رسمي من الرابطة يعلن عنه قبل وصوله ويكون معه مبالغ لترميم المساجد وفرشها من صندوق المجلس الأعلى العالمي للمسجد لا تقل عن مائتي الف دولار. كما يحمل الوفد مبالغًا لمساعدة المدارس الإسلامية لا يقل عن مائة الف دولار أخرى.

مع ملاحظة أن عدد المساجد في العاصمة هو واحد وعشرون مسجدًا منها ثمانية تقام فيها صلاة الجمعة وأكثر هذه المساجد حديث البناء لم يمض عليه أكثر من خمس سنوات مما يدل على مدى سرعة انتشار الإسلام في البلاد بعد الاستقلال.

ثانياً : إمداد المدارس الإسلامية بالكتب الدراسية والمقررات بالعربية مع بعض الكتب الإسلامية بالفرنسية والمصاحف الشريفة.

ثالثاً : أن تقوم الرابطة بالمساعدة على إنشاء رابطة أو منظمة لائمة المساجد في إفريقيا الوسطى على غرار ما تم في السنغال

ليمكن ان تكون هذه الجمعية مسئولة عن العناية بالمساجد والمدارس الإسلامية أمام الحكومة وامام رابطة العالم الإسلامي.

ويمكن ان يرصد لهذا الغرض مبلغ في حدود عشرين الف دولار بما في ذلك تكاليف الاجتماع الذي سيعقد وتنقلات الأئمة من القرى والآياف الى داخل العاصمة وبالعكس لحضور الاجتماع التأسيسي.

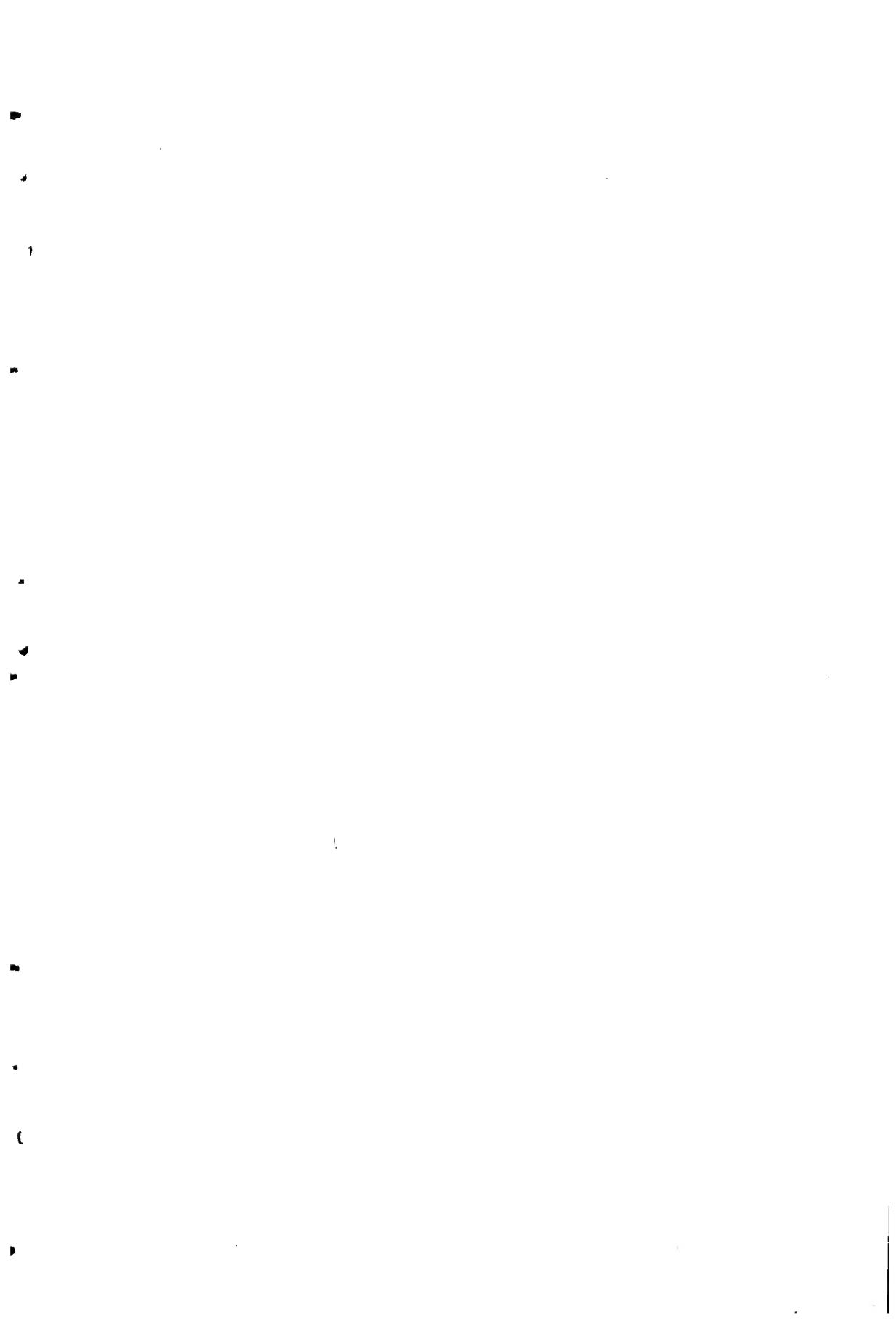
رابعاً : تأييد انضمام جمعية الشباب الإسلامي في إفريقيا الوسطى إلى الندوة العالمية للشباب الإسلامي وان تقوم الندوة بالاتصال بجمعية الشباب المسلم في إفريقيا الوسطى وبإقامة مخيم للندوة هناك.

خامساً : إقامة دورة لتدريب الأئمة في إفريقيا الوسطى يتضمّن اليها أئمة المساجد في الكونغو برازافيل وتشاد والجابون وذلك لكون الجو السياسي والاقتصادي مناسباً في إفريقيا الوسطى لذلك أكثر من الأقطار المذكورة. وأيضاً لتفوّق الوجود الإسلامي المتّنامي فيها.

سادساً : زيادة المنح المقررة لأبناء المسلمين من إفريقيا الوسطى في الجامعات والمعاهد الإسلامية في المملكة.

سابعاً : ان يوكل إلى وفد الرابطة المقترح اختيار عدد من زعماء المسلمين وعلى رأسهم الحاج إسماعيل نيماقا وكذلك من العاملين في الحقل الإسلامي ودعوتهم لزيارة الرابطة واداء العمرة وزيارة المدينة المنورة والاجتماع بالمسئولين عن الدعوة.

ثامناً : الإتصال بالأزهر الشريف وبالجهات العاملة في ميدان الدعوة الإسلامية في الكويت وغيرها لتنسيق العمل الإسلامي المذكور في «إفريقيا الوسطى».



المحتويات

الصفحة	الموضع
٥	مقدمة الكتاب
١٢	من جدة إلى أديس أبابا
١٤	الكبيرات والكبراء
١٦	الركاب كلهم عابرون
١٧	من أديس أبابا إلى دوالا
١٩	من نيروبي إلى دوالا
٢١	في مطار دوالا
٢٧	في الحي التجاري
٢٩	صباح دوالا
٣١	ضريبة العمل في البلاد المختلفة
٣٤	في منطقة السوق
٣٦	يتربثون على الرئيس السابق
٣٩	إلى المسجد العتيق
٤١	في المسجد العتيق
٤٢	مغادرة الكاميرون
	إلى جمهورية إفريقيا الوسطى
٤٥	من دوالا إلى بانغي
٤٦	في مطار بانغي
٤٩	في مدينة بانغي

٥٠	مطعم البان جديـد
٥٢	البحث عن فندق
٥٣	الوجود العربي في بانـقـي
٥٣	فندق الصخرة
٥٥	على ضفة النهر
٥٧	في الجامع الكبير
٥٩	وبعد الصلاة
٦١	أصيل بانـقـي
٦٣	ونسـاؤـهـم
٦٥	في السفارـةـ السـودـانـيـة
٦٧	عشـاءـ السـفـير
٦٨	جـوـلـةـ فيـ مدـيـنـةـ بـانـقـي
٦٩	لـحـمـ الـقـرـود
٧٠	ولـحـمـ الـفـيـل
٧٣	بـلـادـ إـسـتوـاـئـيـة
٧٧	كـلـهـ مـنـ عـمـلـ بـوـكـاسـا
٧٨	مسـجـدـ التـقوـى
٨٣	فـيـ حـيـ المـسـلـمـين
٨٤	مسـجـدـ النـور
٨٧	مـدـرـسـةـ مـسـجـدـ النـور
٩١	مسـجـدـ عـبـادـ الرـحـمـن
٩٤	الـمـسـجـدـ العـتـيق
٩٦	مـدـرـسـةـ فـلاحـ إـسـلـام

٩٩	إلى جامع نور القرآن
١٠٣	مسجد نور الأنوار
١٠٥	مواصلة الاجتماع بالإخوة المسلمين
١٠٧	وفد الشباب المسلم
١٠٨	صباح العصيد
١١٠	إلى بلدة بوالي
١١٠	في ريف إفريقيا الوسطى
١١١	حديث عن بوكانسا
١١٢	الريف الإفريقي الأوسط
١١٣	مركز الشرطة
١١٥	خيème من القش
١١٧	نهر مبووكو
١٢٠	الجني يسبب الحوادث
١٢١	في بلدة بوالي
١٢٣	إلى شلالات بوالي
١٢٨	مسجد بوالي
١٣١	العودة إلى بانقى
١٣٢	في السوق السنغالي
١٣٤	أحوال المسلمين
١٣٧	معادرة إفريقيا الوسطى
١٣٨	فوق تشاد
١٤١	في مطار انجمينا
١٤٣	ذكريات تشاد

ملاحظات على الوضع الإسلامي في جمهورية إفريقيا الوسطى ..	١٤٦
الاقتراحات ..	١٤٧
الفهرس ..	١٥١